

الملك فيصل خادم الحرمين الشريفين

بقلم فوزي عطوي

* * *

لما انعقدت للمغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز البيعة، وارتقى عرش المملكة العربية السعودية ، كان في عداد ما خوطب به من كلمات تكريمية القاب « الملك » ، و «صاحب الجلالة » ، و « الجالس على العرش » فوقف ، رحمه الله، يرد على مكرميه ، وقد بدت عليه علائم التحرج والتواضع معا ، وقال :

« تكرر على سمعي لفظ صاحب الجلالة ، والجالس على العرش ، واني ارجو منكم ان تعتبروني اخا . ان الجلالة لله سبحانه وتعالى ، وان العرش هو عرش رب السموات والارض ، وان هذه الصفات دخيلة علينا في ديننا ولغتنا . »

ملك عظيم ، يحكم ثالث اغنى دول البترول في العالم، ويحمي حمى الحرمين الشريفين ، يابى ان يخاطبه الناس بلفظ تعاهدوه فيما بينهم ، منذ قديم الزمان ، ويرى ان لفظ « الاخ » هو انبل واسمى واصدق من كل الفاظ التعظيم البروتوكولية الاخرى ، ويفضل على كل الالقاب التي يمكن ان يخاطب بها صاحب العرش ، لقب « خادم الحرمين الشريفين »، تيمنا وتبركا ، وتأثرا لخطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي طالما دعا الى التآخي بين المؤمنين بقوله : « انما المؤمنون اخوة »، والذي علم الناس ان مكارم الاخلاق اجدى من بهارج السلطان ، فقال لهم بتواضع المؤمن برب السموات والارضين : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق . »

هذا الرجل العظيم الذي افتقده العرب والمسلمون في أشد مراحل تاريخهم حرجا ، اذ تتضافر قوى الشر جميعا لتكيد لهم ، عن طريق تدعيم الغزوة الصهيونية الهمجية على ارضهم التي يفوح من ترابها عبير القداسة، كان نموذجا فذا من نماذج المؤمنين بالله والامة ، العاملين بجد وقدرة في سبيل بعث امجاد العرب ، وترسيخ جذور التوحيد والايمان ، فلم تستهوه عقيدة غير عقيدة الاسلام ، طالما ان امامه كتاب الله وسنة رسوله، وطالما ان «الدين المعاملة »، وان الجهاد المقدس فرض على كل مؤمن ومؤمنة، دفاعا عن الحق ، وصونا للقيم ، ومجالدة للباطل الذي كان زهوقا .

ولقد أجمع مؤرخو سيرته ، والمتعاملون معه من رجال السياسة، والصحافة ، والفكر ، من الغربيين والعرب ، على ان حديث الرجل كان يوحي لسامعه بانه خريج أرقى الجامعات ، نظرا لشمول معرفته ، واتساع افق تفكيره، ورجاحة عقله ، وسداد حكمته ، في كل ما جابه من امور السياسة المحلية ، والعربية ، والدولية .

لكن الحقيقة التي كشف عنها الملك الراحل بنفسه لبعض مؤرخي سيرة حياته ، انه لم يتلق من العلوم المدرسية الا القليل ، وان المدرسة الكبرى التي تخرج منها ، كانت مدرسة والده العاهل المؤسس الملك عبد العزيز :

« ان المغفور له والدي عبد العزيز هو مدرستي ومنارتي التي استهديت بها . انني احفظ كنزا من تجاربه المرشدة ، انه مدرستي الحقيقية .. انني لم ادخل اية مدرسة . لقد دخلت « الكتاب » وتخرجت منه في الثالثة عشرة من عمري ، كما دخلت ، اي لا اعرف القراءة والكتابة. وحفظوني القرآن غيبا ، وخرجت لادخل مدرستي الحقيقية. انها شخصية المغفور له والدي عبد العزيز الذي ترعرعت ونشأت في ظله ، وتمرست في الحياة بتدريبه ، فكان هو المدرسة التي استقيت منها دروسي وخبرتي ».

والحقيقة ان الملك فيصل الذي عاش يتيما من الام التي انتقلت الى جوار الله ، وهو طفل رضيع ، استطاع وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ان يشارك اباه في غزوة « ياطب » ، وهي اول غزوة ضد ابن الرشيد ، ثم انه قاد عددا من الغزوات والمعارك ، وهو بعد في ميعة الصبا، فكتب له النصر فيها جميعا .

وكان الملك الراحل ما يزال في العشرين من عمره، حين اصبح نائبا للملك في منطقة الحجاز ، بعد ان نجح في القضاء على التمرد الذي حدث في تلك المنطقة عام ١٩٢٦، وبذلك غدا الساعد الايمن لوالده الملك عبد العزيز الذي عينه في عام ١٩٢٧ رئيسا لمجلس الشورى ، كما عينه بعدئذ ، في عام ١٩٣٠ وزيرا للدولة لاول وزارة خارجية في المملكة العربية السعودية .

ثم انه ارتقى عرش السعودية عام ١٩٦٤ ، فوجه كل طاقاته وجهوده لانماء المملكة وتطويرها والقضاء على اسباب التخلف ، ونشر العلم ، وتعزيز البعثات الثقافية الى الخارج، وتسليح الجيش باحدث المعدات ، واداء كل ما من شأنه ان يعزز المملكة ، في النطاق العربي ، وعلى الصعيد الدولي .

ولقد يطول بنا الحديث عن المواقف التي كان يقفها الملك الراحل من كل قضية عربية واسلامية ودولية ، فان مثل هذا الحديث يتطلب مجلدات حبذا لو تهيأت لنا الاسباب والظروف لانجازها .

على ان ذلك لا يحول دون الاكتفاء بالنم من اليم، وبالغيض من الفيض ، فنذكر اعز وقفاته العربية، اذ كان البطل المحرر الصامت الواقف وقفة المعتز بربه ووطنه ، وراء معركة العبور التي انهى الجيش المصري فيها اسطورة التفوق الصهيوني. ولعل اصدق من يقيم موقف الملك

الراحل ، في تلك المرحلة ، هو الرئيس محمد انور السادات الذي قال عنه ، وهو ينعاه الى شعب مصر والامةالعربية والعالم الاسلامي، بانه كان رجلا من اعظم الرجال وابرهم، وزعيما من افضل الزعماء واخلصهم واجلهم ، ادى لشعبه وللقضية العربية والعالم الاسلامي من الخدمات الكبار ما سوف يذكر له بالعرفان والوفاء ، كما قال ايضا : «واذا كان العالم العربي والاسلامي يذكر لجلالته وقفته القوية دفاعا عن كل حق عربي وكل مقدس اسلامي ، فان مصر رئيسا وحكومة وشعبا ستظل تذكر له بكل الوفاءوالعرفان وقفته التاريخية معها قبل ان تنطلق الشرارة في معارك العبور وخلال تلك المعارك المظفرة وخلال كل المواقف المصيرية التي خاضتها امتنا في اعقابها ، وهي وقفات امتدت اصداؤها الى العالم العربي كله ، وكانت مثالا فذا للشهامة العربية وللاخوة الاسلامية ، وكان لها الفضل العظيم في الحفاظ على التضامن العربي والاخاء الاسلامي . »

ولئن كنا نظن ان التدليل على مواقفه الاسلامية هو من قبيل التعريف باسم العلم ، لاسيما وان كتاب الله عز وجل هو دستور المملكة العربية السعودية، فحسبنا ان نشير الى ان جميع ما القاه الملك الراحل من خطب ، وما وجهه الى شعبه والى العرب والمسلمين من كلمات ورسائل ، انما كان صادرا عن هذا المصدر .

ففي نصيحة وجهها الى المسلمين عام ١٩٧٤ م (١٣٩٤هـ) ورد قوله ، بعد استشهاد مطول بآيات القرآن الكريم :

« فعلى كل مسلم ان يحاسب نفسه ، ويتوب الى الله من ذنوبه توبة صادقة ، وان يجتهد في اداء ما اوجب الله عليه وترك ما حرم لان ذلك هو سبب السعادة والنجاة في الدنيا والاخرة ، وهو ايضا من اسباب اصلاح المجتمع وتيسير أموره وسلامته من كل ما يضره . فاتقوا الله، عباد الله ، وتوبوا اليه من جميع الذنوب ، وتواصوا بحق الله ، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر لتفوزوا بكل خير وتسلموا من كل شر . »

وما احوجنا حقا الى الاستمساك بعروة الدين، والاستجابة الى مثل هذا النداء الذي يكرس الاخلاق السامية في اعلى ذروتها ، وفي اسمى معانيها ومدلولاتها.

اما مواقفه المشرفة من القضايا الدولية ، ولا سيما القضايا التي تمس كرامة العرب ، وحقهم، ومصلحتهم، فلعل وقفته من الغرب المتغطرس بقوته وجبروته، وخوضه معركة البترول ، لصالح القضية العربية ، أصدق دليل على ايمان الرجل بحق امته ، وحرصه على كرامتها، وغيرته على مصلحتها .

ويروون عن الملك الفيصل موقفا هو ذروة الكرامة والاباء ، يوم زاره الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون، وهو في ذروة مجده ، وقال له : « جئت لاتعلم الحكمة منك يا جلالة الملك ». فما كان من الفيصل الا ان ابتسم ابتسامة ابية ، وقال له وهو يشير من خلال احدى نوافذ قصره الى اشجار النخيل فوق رمال الصحراء : « يا حضرة الرئيس ، هل ترى هذه الاشجار ؟ لقد عاش آبائي واجدادي مئات السنين على ثمارها . ونحن مستعدون ان نعيش مثلهم ونستغني عن البترول ، اذا استمر الاقوياء ، وانتم في طليعتهم ، في مساعدة عدونا علينا . »

وكان ذلك اول دروس الحكمة التي اتى نيكسون ليتعلمها من جلالة الملك !!.

واذا كان هذا هو موقفه ، بالنسبة للقضايا الدولية التي تمس امة العرب والاسلام ، فقد كان ، فيما عدا ذلك ، احد بناة المجتمع الدولي ، ومساهما كبيرا في ترسيخ قواعد السلام والعدل بين الشعوب . ولقد اوضح الامين العام للامم المتحدة الدكتور كورت فالدهايم دور الملك الراحل ، اذ وصفه بانه « يعتبر من ابرز القادة الذين لهم وزن في الشرق الاوسط . فالملك فيصل لعب دورا اساسيا في هذا الوقت السريع التحول ، وكان جلالته في السنوات الاولى لتكوين الامم المتحدة شخصية معروفة كممثل لبلاده في الجمعية العمومية للامم المتحدة».

وبعد ، فبين نيسان ١٩٠٦ واذار ١٩٧٥ ، رحلة عمر مفعم بجليل المآثر والمفاخر لمليك عاش في ذروة السلطان عيشة الزاهدين المتقشفين، ولقد عاش اعوامه الاخيرة على هاجس تحرير التراب الفلسطيني الطاهر من رجس القدم الصهيونية الهمجية ، كما عاش على امل ان يصلي في القدس ، بعد التحرير ، ولطالما سمعناه يقول على مسمع من رجال الصحافة ، ووسائل الاعلام : « اذا كان ثمة دعوة مستجابة ، فاني ادعو الله ان لا اموت قبل ان اصلي في مدينة القدس . »

وها اننا ، من اعماق الضمير العربي الثائر ، نقول للراحل الكبير قولة السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية :

« على ارض الجهاد ولدت ، فكانت لك في كل ساحة جولة ، وفي كل ميدان نصر . ومن بوابة الجهاد دخلت ، وعلى درب الجهاد رحلت، وعلى درب الشهداء والصديقين مضيت ، وحسن اولئك رفيقا . شاءت ارادة العلي القدير ان تكون فلسطين آخر من يلقاك واول من يودعك. كان لقاء بلا موعد كاننا على موعد ، موعد نلقاك فيه عزما واصرارا وصلابة ، وموعد ان نودعك شهيد الحق ، شهيد فلسطين ، وهل فلسطين الا قلب الحق ومهجته ؟

كان حلمك ان تستشهد على ارض فلسطين ، فعلى أرضية فلسطين استشهدت .

كان هاجسك ان ترفع راية التحرير على قدسها، فارتفعت منارا في سمائها !

فوزي عطوي

فيصل العرب

بولس سلامة

كان الشاعر الملحمي بولس سلامة اثناء زيارته الاخيرة لجلالة الملك فيصل في الرياض ، قد القى من تلفزيون المملكة العربية السعودية القصيدة التالية التي لم تنشر في الصحف:

●

خلفت لبنان في دربي الى الشهب … فما تغرب وجداني ولا ادبي
لقد تعلقت نجداً منذ ما شخصت … عيني الى غابر من شعرها العجب
نفح العرار قوافيه فرونقه … ابهى من البدر لماحا على الكثب
جئت الرياض فهزتني مفاخرها … وجلجلت عظمات الامس تهتف بي
تقول : مجد ابي تركي وسدته … يحميها في الرزايا فيصل العرب
القائد الخيل في (أبها) مسومة … مختالة الهام والاعراف والعسب ١
نجدية من جياد (الخرج) ضامرة … حمر السنابك من خوض الدم السرب ٢
في (بيشة النخل) ما ألفت حوافرها … الا علــى ضرم او احمر لزب ٣
القائد الفذ يذكيها فيرسلها … شعثا عوابس بين النقع واللهب
بنانه الفض يرخي من اعنتها … كرا فلم تنعطف يوما الى هرب
يغشى الوقيعة نسرا في قوادمه … من حدة الباس او من سورة الطرب
لا غرو ان يرد الهيجاء منشرحا … نسر بوكر ابي تركي العظيم ربي
خاض المنايا فتيا دون ما هلع … وفل من صلف التياه وهو صبي
فهال (كرزون) ما بالشهم من شمم … وراع (لندن) ان الشبل في غضب ٤
وادركت ان للآساد عزتها … وان نجل الاباة المعرقين ابي

يا فيصل القوم يوم العرب في جزع … وفي الجزيرة طيف الموت والحرب
اذ النفوس حيارى والعيون رنت … اليك تشخص من افق الى قطب
شلت السياسة مما شان سمعتها … وصنتها من ضروب الخوف والريب
مؤيد العزم ثبت الرأي سافره … كان عبد العزيز الحر لم يغب
وذاك انك لم تنشأ على ترف … مشتت البال بين الرغد واللعب
بل فارسا عرف الميدان صولته … وفيصلا بين غاب السمر والقضب
في معمعان الوغى ربى بسالته … لا في الصحائف والانباء والكتب
انت الذي يستطيع القول هاءنذا … وقد بلغت السهى عزا وكان ابي

يا صاحب التاج اولاك الاله سنى … فازددت شأوا على آبائك النجب
ابوك غرة هذا العصر مرتبة … وزين ابطاله في المشرق العربي
اولاه ما بزغت في نجد مملكة … ولا توحد قطر جد منشعب
حسامه ألف الاعضاء في جسد … لم يستفق مرة الا على شغب
أجلى الطواغيت عن نجد وصدهم … بكل زند مرير الفتل والعصب
وكل سابحة جرداء صافنة … وكل ملتهب الحدين ذي شطب
فأيقظ العزة الشماء في بلد … طال السجود به للجور والنصب
وأيقظ البدو من ضنك ومتربة … فرصع القفر بالعمران والعشب
كانوا قبائل اشتاتا مسيبة … فرائس الحر والاوباء والسغب
الجهل قائدهم والنهب رائدهم … فكل همهم في القتل والسلب
كانما قيمة الانسان عندهم … كبش من الضأن اورحل من الخشب
نامت عزائمهم عن كل مكرمة … الا عن العدو خلف البازل الجرب
الراحلون فلا دين ولا وطن … الراقدون على رث من الأهب

اوطانهم في ظهور النوق ظاعنة ... كأنما خلقوا للحلب والطنب
فاقسم ابن سعود ان ينزلهم ... في خفض عيش على زاك من الترب
أرضا يحبونها حتى تكفهم ... خضراؤها عن رياد المطعم الجشب
الحب اصدق ما تصغي النفوس له ... وما يمكن في اغراء مجتذب
عبد العزيز وكم في العرب خالدة ... من سيفه الفرد او من عقله الخصب

يا فيصل الحرمين الاشرفين وما ... من رتبة فوق ذاك التاج واللقب
في ظل بيتكم اعتز الحجاز وقد ... باتت قرابينكم قدسية القرب
يسرتم الحج حتى ود قاصده ... لو فاته الركب ان ياتي على السحب
يلقى مليك الهدى في صدر معبده ... مصليا خاشع السيماء والهدب
جلت وداعته في البيت متضعا ... جلال هيبته في غابه الاشب
يا غاسل الكعبة الغراء عن ورع ... وفاك ربك اجر العابد الارب
وجادك الخير من كف الرسول كما ... تحدر الغيث من تل الى صبب
لكم دفعت عن الاسلام غائلة ... اذكى دفائنها مثوى ابي لهب
في ظل فيصله زاد الحجاز على ... وجاز عن حازب الاحداث والنوب
فعاد قطرا منيعا آمنا ترفا ... لا دمية قلقت في كف مضطرب
زكت مساجده درت موارده ... كفيدق من يمين الله منسكب
يا طالما رفد الشعر الحجاز فمن ... عديل حسانه والعلية النخب
عن الحجاز قبسنا الضاد حالية ... الى قريش سمت في الحسن والنسب
تبارك الله ما اسمى عجائبه ... في مهبط الذكر ضاءت دولة الادب
حسب الحجاز فخارا انه بلد ... أهدى الى الكون طه كوكب العرب

لما ذكرت ابا تركي وصولته ... تشوف الامد الاعلى الى أدبي
يا رب ليل غذوت الشعر من كبدي ... فيه وأهويت من سقم ومن تعب
سبكت ملحمتي والداء يهصرني ... يمتص من مهجتي ياوي الى عصبي
زرق المباضع في عظمي تناوشه ... ما بين منكسر منها ومختضب
لو آهتي عبرت حمراء لاهبة ... لم يبق من عشبة في المنبت العشب
عيد الرياض سبقت الاولين بها ... فمن اتى لاحقا يجري على عقبي
سيهرم العصر بعد العصر منصرما ... وهي الفتية لم تكهل ولم تشب
ان الملاحم لم تبرح مناط يدي ... فكلما انتسبت فاءت الى نسبي
لا البحتري شأى شأوي فجاوزني ... قدرا ولا المتنبي دابه دأبي

يا صاحب التاج اني جئت من جبل ... بالافق مكتحل بالنور معتصب
تفتح الارز وافترت ذوائبه ... لما تفلت من أغلال منتدب
فبيض اطواده في الصبح ضاحية ... جزائر العاج في بحر من الذهب
لبنان للضيف سهل افيح واخ ... للعرب عند حلول الخانق الحزب
شعاره الحب ايمانا ومعرفة ... وأصدق الود ود غير مجتلب
اذ يقرأ الشيخ في الانجيل مبتهجا ... وينعم الحبر في قرآنه الذهبي

---

(١) ابها قاعدة عسير . (٢) الخرج مكان في نجد اشتهر بتربية الخيول العراب. (٣) بيشة النخل مشهورة بقلعتها . (٤) اشارة الى حادث أثبت فيه جلالته انفة العرب ونبوغهم وكان جلالته يومئذ حديث السن . (٥) لم يجب اي لم يخفق القلب جزعا . (٦) كان الترك قادة جيش الامام يحيى . (٧) حاضرة على ساحل البحر الاحمر ولقد كان الجيش اليمني وافر العدد والعتاد وكان السلاح ايطالي المصدر . (٨) اسم بلد في عسير . (٩) هو الامير فيصل بن تركي وقد ثار لابيه مشاري بن عبد الرحمن واستعاد الامارة وكان متوقد الذكاء تقيا ورعا شجاعا رفيقا باليتامى وقد بنى لهم دارا خاصة في الرياض فلقب بابي اليتامى . وكل الاحداث المشار اليها في هذه القصيدة قد فصلت باسهاب في ملحمة عيد الرياض .

بولس سلامه



بشير العوف

الفيصل الفقيد

زعيم مفكر وسياسي فذ وعالم اديب

بقلم بشير العوف

* * *

كثيرون اولئك الرجال العظام ، الذين تغلب على شهرتهم زاوية واحدة من زوايا نبوغهم العديدة ، فلا يعرفون الا بها ، ولا ينظر الناس اليهم الا من خلالها ، بينما تظل مواهبهم الاخرى ، مع مختلف علومهم وفنونهم ومنجزاتهم خافية الا عن القلة النادرة من الباحثين والمتتبعين.

« ليوناردو دافنشي »، الفنان العالمي الايطالي، لا يعرف عنه اكثر الناس ، سوى كونه قمة انسانية في فن الرسم والنحت والتصوير ، فهو الذي رسم لوحة موناليزا (الجوغندا ـ متحف اللوفر)، ولوحتي : «العذراء والصخور » و « العشاء الاخير » وغيرهما من اللوحات الخالدة ، التي تستأثر بالاحتفاظ بها كبريات المتاحف العالمية ، بينما نسي الناس في دافنشي، شخص العالم النابغة المفكر ، الذي نبغ بمختلف علوم الهيدروليكا، والميكانيكا والتشريح،والجيولوجيا ، والنبات، والهندسة، والموسيقى ، حتى انه كتب والف في هذه العلوم والمعارف كلها ، بل انه هو الذي وضع نظام صنع الطائرات ، وحدد نوعية محركاتها وهياكلها قبل حوالي اربعمئة سنة ، بما في ذلك طائرة «الهيليكوبتر» الحديثة ، التي تعتبر حسنة من حسنات فكره ومنجزاته ، ومع ذلك نسي الناس دافنشي العالم المفكر المبدع ، وحفظوا دافنشي نحات ورسام الخلود فقط.

وابن سينا (ابو علي الحسين بن عبد الله) المتوفي في القرن الحادي عشر الميلادي ، اشتهر بالطب وبمؤلفاته الطبية العديدة وبينها « القانون » الذي ظل عمدة الطب العالمي كله خلال خمسمئة سنة (العصور الوسطى)، ونسي معظم الناس ما كان قد نبغ فيه ابن سينا ، وما كتب والف ونشر وعلم ، حول الفلسفة والحكمة والطبيعيات ومختلف شؤون التربية .

وعمر الخيام صاحب « رباعيات الخيام » المتوفي في القرن الثاني عشر الميلادي لا يحفظ عنه اكثر الناس،سوى ذلك الاديب الشاعر الفنان ، مع انه كان واحد عصره في العلوم الفلكية والرياضية ، فهو الذي حل معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية وجبرية ، وهو الذي قام باصلاح التقويم الفارسي القديم ، وشرح ما اشكل من كتاب «اقليدس» و «مختصر في الطبيعيات » و«رسالة في الكون والتأليف » وغير ذلك ، ومع هذا ظلت شهرته قاصرة على رباعياته التي ترجمت الى مختلف اللغات الحية .

وكذلك كان حال ابراهيم بن المهدي الذي تربع على منصب الخلافة الاسلامية العباسية ، ولكنه لم يشتهر الا بالموسيقى والغناء وحلاوة الصوت وارتياد مراتع اللهو والطرب ، كما كان حال (الفارابي) مشهورا بالنبوغ الفلسفي وبشرح كتب ارسطو المنطقية والطبيعية والاخلاقية ، فهو الذي وضع اسس المعرفة العقلية واعتبارها اسمى من العمل الخلقي ، ونسي الناس انه كان الى جانب ذلك ، عالما من اكبر علماء الموسيقى ، اذ ان كتابه المعروف باسم « كتاب الموسيقى الكبير » يعتبر اعظم مؤلف للعرب في الموسيقى ، وقد ترجمه للفرنسية عام ١٩٣٥ المستشرق الفرنسي البارون رودلف ديرلنجيه، كما بين مؤلفاته كتاب « احصاء العلوم » الذي يعتبر موسوعة علمية ، لا ينجز مثلها الا النوابغ من العلماء، ومع هذا ظلت شهرته محصورة تقريبا بالمنجزات الفلسفية.

والملك فيصل بن عبد العزيز ، رحمه الله ، الذي اغتالته يد المنون يوم ٢٥-٣-١٩٧٥ كان بالفعل مالىء الدنيا وشاغل الناس ، من ناحية كونه ملكا على المملكة العربية السعودية ، وزعيما من زعماء الامة العربية، واماما لجميع المسلمين في انحاء العالم ولقد هز المشاعر الانسانية كلها ، وحرك الضمير العالمي حيال قضية فلسطين والمسجد الاقصى ، من خلال معركة النفط التي خاضها ضد اسرائيل والدول الموالية لها في اثناء حرب رمضان (تشرين ١٩٧٣)،

حتى لم يبق بيت في انحاء الارض ، الا وهزه صوت الملك فيصل بالدعوة الى انقاذ القدس من براثن الصهيونية، وهذا ما حمل مجلة «تايم» الامريكية على انتخابه (رجل العالم لعام ١٩٧٤) كما اختارت المجلة صورته لتكون صورة الغلاف السنوي لهذا الرجل العالمي العربي المسلم، ملك المملكة العربية السعودية .

اشتهر الملك فيصل بانه ملك وزعيم سياسي كبير، ملأ الدنيا وشغل الناس زهاء نصف قرن من الزمن ، ولكن القليلين من الباحثين والمتتبعين هم الذين يعلمون انه لم يكن ملكا وزعيما وسياسيا كبيرا فحسب ، وانما كان ايضا مفكرا كبيرا ، واديبا ذواقة ، يجول ويصول في مختلف آفاق المعرفة والفكر . وتلتقي في رحابه مجالس الادب والشعر ، فيكون له في كل ميدان من ميادين الادب مجال ، وفي كل باب من ابواب الشعر راي وفن ورواية .

ولعل ابرز ما عرفناه بفكر الملك فيصل ، انه كان من نوع الفكر السياسي المبدع ، الذي يتميز بموهبة خارقة ، وبديهة حاضرة ، واطلاع واسع ، وخبرة مميزة، صقلتها تجارب السنين ، وهذبتها كبريات الاحداث .

واذا كنا لا نملك المؤلفات والمراجع التي تتحدث عن فيصل المفكر ، وفيصل الاديب ، فاننا لا نعجز عن استقصاء هذه المواهب في شخصيته الفذة ، من رفاقه ومعاصريه وابناء بجدته من المفكرين العرب وابناء مدرسته وزملاء قضيته .

لقد قال لي يوما شيخ السياسة العربية في النصف الاول من هذا القرن الاستاذ فارس الخوري (رئيس مجلس النواب السوري ورئيس الوزراء لعدة وزارات. كما شغل منصب رئيس مجلس الامن الدولي عامي ١٩٤٧-١٩٤٨) قال لي وهو على فراش مرضه الاخير في مستشفى المجتهد بدمشق : « لقد كانت الوفود العربية لا يجتمع شملها الا برئاسة الامير فيصل رئيس الوفد السعودي — قبل ان يصبح ملكا — في سان فرنسيسكو ثم في نيويورك ، وكنا جميعا نجد لديه الفكر النير، والراي السديد ، ولقدكانت المسألة المعضلة، تعيينا معالجتها، ويستعصي علينا حلها، فنقصده ، فاذا عنده الحل ، وعنده الفكر ، وعنده الاسلوب »!

وحين جاء الملك فيصل لزيارة لبنان (ايلول عام ١٩٧١) كتب العالم الفيلسوف الدكتور شارل مالك(رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة ممثلا لبنان)، كتب مقالا في الصحف اللبنانية اوضح فيه ان الملك فيصل لم يكن مجرد زعيم سياسي او حاكم عربي ، وانما كان مفكرا من الطراز الرفيع تجتمع الوفود العربية في ندوته للمشاركة في جلسات هيئة الامم المتحدة ، لتأخذ منه دروسا في الفكر السياسي وفي الدبلوماسية الذكية الناجحة .

وقال لي العالم المحقق ، الدكتور صبحي الصالح الاستاذ في الجامعة اللبنانية ، وجامعة بيروت العربية، وغيرهما من جامعات الوطن العربي ، انه زار الفقيد الفيصل خلال موسم الحج الماضي، وبحث معه مشروع « الموسوعة العربية » وراح يدلي اليه بتفصيلات الغاية الكامنة وراء هذا المشروع الحضاري العلمي، الا ان الدكتور الصالح، قد دهش ايما دهشة ، حينما رأى الملك فيصل ، وكأنه بحر من المعارف ، يختزن الكثير من العلوم القديمة والحديثة ، بما في ذلك علوم الدين واللغة والادب والفكر والقانون مما يدل على ان الفيصل كان يضم بين برديه، رجل العلم والفكر والادب ، كما كان يضم رجل الملك والزعامة والسياسة .

ويقول العالم المفكر الاديب الدكتور منير العجلاني في الصفحة ١٠٠ منكتابه : « تاريخ مملكة في سيرة زعيم» ما يلي :

« عرف الفيصل بالاناة والروية ، وقد يأخذ عليه بعضهم ذلك ، ولعلهم يظنون الاناة ، لونا من البطء في التفكير ، وهذا لا يكون في العباقرة ، ولكن اناة فيصل ، ليست من فقر التفكير وانما هي من ترف التفكيروخصبه، وان الفيصل في ذكائه الوقاد ، وحدسه الصادق ، ونظرته النفاذة يحيط بدقائق الامور لاول وهلة ، ولكنه لا يحب ان يعلن للناس رايه ، او يدعوهم للعمل به ، الا بعد ان يعرض رايه على نفسه مرة ، وعلى اصحاب الخبرةوالمعرفة مرة ، ليصدر دائما عن دراسة عميقة واحاطة شاملة ، وهو الى ذلك يتحرى السلامة ويكره المغامرة ، ويستعينبالوقت احيانا على حل المعضلات ، فالاناة ليست اسلوبا فيالتفكير، ولكنها اسلوب في العمل والتقرير والتدبير » .

ولعل في الاعتماد على مشورة اهل الخبرة والمعرفة، شيئا من التوجيه القرآني في ضمير الملك فيصل، عملا بقوله تعالى : (وشاورهم في الامر — وامرهم شورى بينهم) .

ويقول الدكتور العجلاني ايضا عن الملك فيصل كاديب وخطيب ما يلي :

« ان الملك فيصل خطيب يؤثر في الجماهير ، ويعرف كيف ينورها ويوعيها ويجمع صفوفها حول اهدافه المنشودة وزعامته الرشيدة ، ومما يربق على كلامه مزيدا من القوة ، ويجعل لها قبولا حسنا في النفس : ثقة الناس بصدقه واخلاصه . وان الفيصل يرتجل اكثر خطبه ، ليكون كلامه اكثر تجاوبا مع نفسية الجمهور الذي يخاطبه ، وما سمعنا انه ارتج عليه مرة ، او اخطاه التوفيق ، وهذه مزية من مزاياه ، وموهبة من مواهبه، وان للخطب الارتجالية فوق (التجاوب) فضيلة (الثقة) اي انها تجعل الناس يطمئنون الى ان ما يسمعونه من الرؤساء هو من عفو الخاطر ، لا يتصنعون فيه ، ولا يكتبه لهم او يفرضه عليهم احد ».

هذا شيء عن فيصل المفكر ، وفيصل الاديب، وطبيعي ان الاعمال الفكرية ليست دائما كتابا يؤلف ، او مقالا يكتب ، او خطابا ينشر ، بل كثيرا ما تكون خطة

مرسومة لغاية مقررة ناجحة ، او دعوة لقضية ذات اهداف محددة . او اسلوبا للوصول الى كسب انساني او قومي او وطني ذي نفع عام ، أو منهاجا لتوطيد دعائم حضارة مرموقة ، وهذا كله عمل من اعمال الفكر ، يتناوله الكتبة والمنشئون والمنفذون من فم صاحبه ، ثم يصوغونه مواد في كتب ، وبرامج للعمل ، ووسائل للتنفيذ .

الملك فيصل كان واحدا من هؤلاء المفكرين النابغين، الذين يجابهون كل حدث طارىء بما يستحق ، ويهيئون لكل حدث قادم بما يجب .

حدث مرة ، كما قال المرحوم احمد قاسم جودة ان اصيبت خزينة المملكة العربية السعودية بانهيار كبير، وضعها امام هاوية الافلاس،وسوء السمعة المالية والادبية، وذلك حين كان الملك فيصل رئيسا للوزراء في السنة الثالثة من حكم اخيه الملك سعود ، حتى ان خزينة الدولة غدت مديونة لمؤسسات وطنية واجنبية ، بمبلغ الفي مليون ريال ، حيث لم يبق في حوزة الخزينة سوى ٣١٧ ريالا، وذلك في شهر رمضان من عام ١٣٧٧هـ. فكانت الدولة عاجزة عن دفع الرواتب للموظفين في آخر الشهر .

واعمل الفيصل (فكره) للخروج من الازمة التي اذا بقيت فستكون اشهارا لافلاس الدولة السعودية ولانهيارها المالي، فما كان منه الا ان اعتمد بادىء ذي بدء على السرية الكاملة ، في كل خطوة يخطوها ، لان شيوع اي خبر عن الوضع المالي في المملكة سيؤدي الى التعجيل بوقوع الكارثة ، وبعد هذا لجأ الى الاسلوب التقليدي المتعارف عليه ، للحصول على قروض ، فوجد الابواب موصدة في وجه الدولة ، لان المصارف رفضت اعطاء قرض للحكومة لانها تعتبرها غير قادرة على ضمان السداد، وفي تلك الفترة العصيبة تسلل العملاء الاجانب ، الى داخل المملكة السعودية ، حاملين عروضا كثيرة ، لتقديم قروض كبيرة ، على طريقة الديون المصرية الاجنبية التي جرت في عهد الخديوي اسماعيل والتي اخضعت مصر لسلطان الاجنبي ولتسلطه الاستعماري ، فاذا بالملك فيصل يصر على رفض هذه القروض ، وعلى عدم ربط بلاده ، باي قيد استعماري قد يشكل الكثير من الاخطار على مستقبل المملكة ، وفي نفس الوقت سلك سبيلا آخر ، حصل به على قرض شخصي باسمه ، بلغت قيمته ٢٦ مليون ريال، وذلك لا لانه هو شخصيا اغنى من الحكومة ، بل لانه يملك كلمة (شرف) هي اقوى من كل الضمانات ، وهكذا تسلم الملك فيصل المبلغ على مضض ، لان الثقة التي ابديت في شخصه ، قد قابلتها ثقة نزعت من حكومته ، ولكن ماذا يصنع ؟.. اذ لا بد مما ليس منه بد ، وقام الملك فيصل بايداع المبلغ خزينة الدولة باطمئنان وصمت حيث تسلم موظفو الدولة ، رواتبهم في موعدها المقرر ، ومرت الازمة النفسية والمالية بسلام .

أليس هذا نوعا من (الفكر) الاداري والتنفيذي المرن ؟! اوليس هو دليلا على ما يختزنه الفيصل ، في عقله وضميره ، من فكر وقاد ، وارادة حازمة فاعلة ، انقذت البلاد من محنة كادت ان تمزقها ؟!

هذا ولا بد من الاشارة الى ان شركة النفط العربية — الاميركية — الارامكو — قد حاولت حينئذ ان تجعل من هذا القرض الشخصي ، وسيلة لحبس عوائد النفط عن خزينة الدولة السعودية ، الا ان حزم الملك فيصل وصموده ارغم الشركة على التراجع ، وفرض عليها دفع العوائد في اوقاتها ، فكان ان استقرت الشؤون المالية في المملكة الناهضة ، التي تابعت مسيرتها على خطى التقدم وتوطيد البناء .

ومما يروى عن لسان الجنرال ديغول ، رئيس الجمهورية الفرنسية ، الذي زاره الملك فيصل في باريس (ايار ١٩٦٧) انه قال للعاهل السعودي : « ان اسرائيل اصبحت امرا واقعا وانه لا بد للعرب من ان يعترفوا بالامر الواقع في فلسطين ».

فما كان من الفيصل ، الا ان اجابه بهدوء واتزان وهو يتساءل :

« الم يكن احتلال المانيا الهتلرية، للاراضي الفرنسية في الحرب العالمية الثانية امرا واقعا ... فلماذا رفضتموه ؟! »

قال ديغول : « ولكن فلسطين كانت في احد العصور التاريخية وطنا لاسرائيل » .

فرد الملك فيصل على الفور : « لماذا — اذن — لا نعيد توزيع العالم على اساس ما كان عليه في العصور التاريخية الماضية ، فتعود فرنسا الى املاك روما ، وتعود اسبانيا للعرب والمسلمين ؟! ولماذا يفرض على العرب وحدهم ، دون شعوب الارض ، ان يعيدوا توزيع اوطانهم على اساس ما كانت عليه قبل الف او الفين من السنين ؟! »

وسكت الجنرال ديغول ، مبديا اقتناعه بالحجة الدامغة ، ومنذ ذلك اليوم ، بدات فرنسا تغيير سياستها لصالح العرب بالتدريج ، وللوقوف بوجه الظلم الصهيوني .

لا شك في ان الملك فيصل تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه ، كان واحدا من الرجال المفكرين والسياسيين العرب العظام ، الذين لا يجود الدهر بمثلهم الا خلال فترات متباعدة من تاريخ الامة والوطن ، وعلى هذا فان خسارة العرب والمسلمين بفقدان الملك فيصل ، لم تكن خسارة امة بقائد موهوب ، وزعيم مفكر ، كان قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، (انسانا) مكتمل الانسانية قد كرس حياته وفكره وقلبه وضميره ، لخدمة ربه ودينه وامته ، دون ان يتلكأ لحظة واحدة عن خدمة الحق والعدل والانسان ، اينما وجد ، وحيثما كان ، فرحمه الله ، واجزل مثوبته ، وجعل الذين خلفوه في مقاعد الحكم والسياسة والزعامة ، خير خلف لخير سلف ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

بشير العوف

ربيع

٭

غاب الربيع ولن يطول غيابه   وسيبهج الدنيا العبوس ايابه
ويضيء مثل النور من غيم بدا   ولسوف يبسم للحياة شبابه
وسيرشف المعسول من ريق الندى   وينوح في الروض الجميل ربابه
ويخاصر الغصن الرطيب معربدا   فقد انتشى مرحا وطاش صوابه
ويناغم الطير الضحوك مرددا   ما كاد يقصر عن مداه خطابه
ويصوغ من لحن الغرام قصائدا   فالدوح يكتب والغدير كتابه
الفجر يغمره بنور جماله   والدر منهمر عليه مذابه
والليل ملكه عظيم جلاله   فهو المطهم والهلال ركابه
والوصل يلهمه وسيع خياله   فعلى جنان الخلد يفتح بابه
انفاس آسرة القلوب عبيره   وغلالة البدر الصبيح سحابه
لغة العواطف والقلوب زهوره   وسلافة الثغر النضيد شرابه
وانا ربيعي كان وهما وانقضى   واليوم ممتنع على طلابه
طال الزمان على ربيع قد مضى   ليطول بالقلب الصديع عذابه
أيعود ؟ كلا لن يعود وربما   هان الحمام ولن يهون ذهابه
أأعاتب الايام ام ابكي دما   ومعاتب الايام طال عتابه
أأجول في ارض أأصعد في سما   والكون كون والرحاب رحابه
أأغوص في بحر أأسكن أنجما   والسم في حلقي يسيل لعابه
ايـن المفر وصرف دهري لاحقي   لتصيبني بعد السهام حرابه
في كفه سيف كسيل مفرقي   هل رده كالسر قط قرابه
ولى الربيع لذاذة وبشاشة   ليذاك من بعد العذوبة صابه
ولى وخلف في الضلوع حشاشة   ويكاد يوردها الهلاك مصابه
البلبل الصداح فارق زهره   ليصيح في القفر الجديب غرابه
والروضة الفناء تشبه جمرة   فالظل زال رواقه وحجابه
لو سرت منها في طريق خطوة   لتقاذفتني في الظلام شعابه
ولئن وقفت لفرط اين وقفة   اعدت علي اسوده وذئابه
ان العراء يحيطني بمتاهة   وتلوح في الافق البعيد هضابه
ان الخلاء يخيفني من وحشة   لكن يطمئن بالوعود سرابه
وكذا الحبيب اضلني بكلامه   وكانما الشعر الرقيق كذابه
أسلمته قلبي لري هيامه   فرميت في بحر يمور عبابه
وحسبت ان التبر يجري في يدي   والقصر تعلو في السماء قبابه
وجعلت احلم بالهناءة في غدي   فاذا بحلمي في الهواء ترابه
ومضى الربيع مع الدموع وحرقة   من ذا راى بحرا يفور حبابه
يا طول ما يشقى الفؤاد بخفقة   هل آن من ذاك الغرام متابه

القاهرة   حسين مجيب المصري



وحيد الدين بهاء الدين

ابراهيم محمد نجا كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

عن طريق مجلة « الرسالة » المصرية عرفت في نهاية الاربعينات فيمن عرفت الشاعر الرومانسي الواقعي : ابراهيم محمد نجا ، الا انني لم اعن بانتاجه كما كنت اعنى بانتاج الشعراء والمفكرين من ذوي الصيت الذائع متأثرا بقاعدة الشهرة.. هذهالشهرة التي طالماتجني علىصاحبها فيدفع عنها ضريبة باهظة قد تتردد اصداؤها على نحومن الانحاء. ولنا من بطون التاريخ قديما وحديثا اكثر من حكاية ودليل..

في خريف عام ١٩٦٤ انتدب ابراهيم نجا لتدريس اللغة العربية بثانوية (تسعين) للبنين بكركوك ،ثم اوعز اليه لاقتضاء الضرورات ان يتولى مهمته باعدادية (كركوك) للبنين ،حيث حلت محله هناك ولم يكن امره قد تناهى الي بعد.

وذات ضحى بينما كنت اجاذب حبال الحديث في احد شوارع المدينة مع زميل مصري آخر اسمه : احمد خنفور ،اتفق ان رأينا ابراهيم نجا يتوسط عصبة من معارفه يتطارحون الطرائف.. فتم بيننا التعارف.. هنا كانت البداية...

وفي يوم ١١ – ١٠ – ١٩٦٤ كان لقائي الاول به في فندق « الشرق الاوسط » وقد اتخذه مقاما محمودا له طوال الاعوام الثلاثة التي قضاها بكركوك ..اتذكر انني اهديت اليه نسخة من كتابي « من ادب التركمان » رمزا للاخاء والولاء بينما هو اهدى الي نسخة من ديوانه الثاني « ايام عمري » ..علما بان ديوانه الاول « حياتي ظلال » نال جائزة الشعر الاولى من مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وحين رحتاقراقطعة من قصيدتهالرائعة «بين وشجيرة»:

انت في القيد ولكن رب قيد غير ظاهر
رب قيد كان سرا بين اعماق السرائر
لا نراه نحن بالابصار لكن بالبصائر
فانظري قيدك يا حرة يا بنت الحرائر

قال – ان العقاد ثمن هذه القصيدة بالذات.

قلت – لراي العقاد وزن اي وزن.

قال – يعد العقاد رائد الشعر والنقد ؟

قلت – بنى هو والمازني شهرتيهما على انقاضشوقي وحافظ بعد صدور « الديوان ».

قال – شوقي انتهى امره وتولى زمانه..

هنا انبرى له احد الجالسين وكان مصريا مثله :

– شوقياعظم شاعر انجبه العرب في العصر الحديث

رد ابراهيم – شوقي شاعر مرحلة.

قال الرجل بلهجة حادة : لا تستطيع انت ولا غيرك انتقاد شوقي والتطاول عليه.

قال ابراهيم – كلامي لا يحمل دلائل الانتقاد بقدر ما يحمل معاني التقييم؟

حسما لنزاع ادبي خشيت ان يتطور ،تدخلت بينهما وانا اقول :

– لا شك ان لكل من شوقي والعقاد قيمة ادبية وتاريخية في تطوير العقلية العربية وبعث النهضة الفكرية بكل موازينها واتجاهاتها ،سيكشف عنها الزمن مستقبلا اكثر من ما فعلته ايامنا الحالية..

فعاد ابراهيم نجا يرحب بي مرة اخرى ،بينما صاحبه ظل ساكتا ودخان سيكارته يرسم خطوطا حلزونية في الفضاء.

وسألت ابراهيم نجا عن نجيب محفوظ؟

– ارى هنا اهتماما كبيرا بانتاج نجيب محفوظ؟

قلت – انهروائي قدير.. اليس خليقا بان يقرأوه؟

– لقد اشتهر على نحو لم يكن تصوره، واتذكر جيدا وانا اجلس ذات عصر الى حسن محمود سكرتير تحرير مجلة « الكاتب المصري » التي رأس تحريرها الدكتور طه حسين ،كيف دخل علينا نجيب محفوظ سائلا اياه عن مصير قصة سبق ان بعث بها الى المجلة للنشر؟

وما كان من حسن محمود الا ان يقول له مجاملا : سينظر في شأنها...

بعد خروجنجيب محفوظ التفت الي سكرتيرالتحرير ليقول : قصته لا تستحق النشر في مجلتنا.

سرعان ماعرف ابراهيم نجا شاعرا وجدانيا بكركوك هذه المدينة التي اخذت تحتضنهبكل كبريائها وتقابلهبالاعزاز والاكرام ،وهو يتغنى بما يخالج نفوسها ويصور ما يترادف على طبيعتها من مظاهرومناظر كما تجلى ذلك كله فيديوانيه « الحياة الحب » و « اغنيات للحب » وفي مقطوعات شتى

نشرتها له مجلة « الاخاء » البغدادية الصادرة باللغتين العربية والتركية ...

من هنا اتصلت بينه وبين الطبقة المتعلمة والمثقفة من كلا الجنسين (١) آصرة الاحترام المتبادل والتقدير المتقابل تمثل اكثرها في رسائل الاعجاب التي كانت تتوارد عليه حتى بعد مغادرته العراق الى مصر وفي الحفلات التكريمية التي كانت تقام لشخصه ،وفي الندوات والمناسبات الوطنية والقومية التي يشارك فيها بحرص وشوق....

ولم يقتصر الامر على هذا فحسب بل تخطاه الى كتابة المقالات والابحاث عن شاعريته ،منها دراسة كاتب هذه السطور(٢) والحديث الذي القاه عنه في احدى الامسيات من اذاعة بغداد في ايلول ١٩٦٦ .. ومن ما كتبه ابراهيم نجا الي بهذا الشأن : « ولا يفوتني ان ابلغك اعجابي الشديد بدراستك عني وقد استطعت في مقالك السالف ان تضع (بلباقة) النقط على الحروف » ..

كذلك نشر الدكتور صفاء خلوصي عن ديوانه « الحياة الحب » في مجلة « الاخاء » البغدادية مقالا ركز فيه على اصالته الفنية وبراعته في التلوين الفكري والتصوير الوجداني حيث قال : « وبوسعي كذلك بعد هذا كله ان اومىء الى ابراهيم محمد نجا بثقة واطمئنان واقول :ههنا شاعر.. ».

اضافة الى ذلك كله كتب عنه في ما بعد كل من محمد القصاب واحمد محمد كركوكلي وغيرهما...

كان لا بد لحالة العناية بابراهيم نجا شاعرا وانسانا من جانب اخر.. هو جانب السلبية الذي تبدى له .. فقد نشر عن ديوانه محمود توفيق المحامي مقالا في صحيفة « البلد » البغدادية (٣) ،ينتقد فيه بعض كلمات الشاعر وابياته الواردة .اذ يقول : « ولأستهل نظراتي السريعة على قصيدة (الوردة والشوك) التي افتتح بها ديوانه، فهي على درجة من الركاكة وضعف البناء فقد جاء بها :

فـاذا الشوك بمـرآه الـذي يـؤذي العيون

وانا اقول : ان الشوك لا يؤذي العيون ولكننا حين نرى الشوك نتذكر الوخز عملا بقاعدة تداعي المعاني حتى اذا تذكرناه لا يؤذي العيون كما قال الشاعر .

ويقول في موضوع اخر على لسان الوردة :

انت يا شوك افاع تتلوى حول عودي

وانا لا ارى الاستاذ موفقا في هذا التشبيه . فالشوك لا يلتوى ليصح تشبيهه بالافاعي.. ثم يقول :

فمتى تذهب عنه نحو واديها البعيد

ولو قال : لبعيد لبعيد لكان اكثر توفيقا .اذ ماصلة الوادي بالافاعي ؟ »..

كان ابراهيم نجا حينذاك عائدا الى القاهرة بمناسبة العطلة الصيفية ورأيت من الاحجى ان اطلعه على النقد لعله ان يرى فيه ما يرى ، فبعثت اليه بنسخة من الصحيفة. وما كان منه الا ان يرد على الناقد بمقال نشر في الصحيفة ذاتها (٤) مناقشا اياه مناقشة موضوعية ومن ما قاله : « انا اقول في قصيدتي الطويلة (الوردة والشوك): ان الشوك يؤذي العيون حتى تراه. واي انسان يستطيع ان يدرك لماذا يؤذي الشوك العيون ؟لانه يمثل الوخز من ناحية ويمثل القبح من ناحية اخرى حين نقارن بينه وبين الورد وانا اقول هذا ولكن السيد محمود توفيق يقول : ان الشوك لا يؤذي العيون ولكننا حين نرى الشوك نتذكر الوخز عملا بقاعدة تداعي المعاني حتى اذا تذكرناه لا يؤذي العيون كما قال الشاعر ». (افهمت شيئا من هذا الخلط ايها القارىء).. ؟

واقول ان الشوك في خيال الوردة يمثل افاعي تتلوى حول عودها ولكن السيد محمود يقول : « ان الشوك لا يتلوى ليصح تشبيهه بالافاعي » . وصدقوني انني اعجب ممن ينقد الشعر وليس عنده اية دراية بطبيعة الصور الخيالية في البلاغة. وليسأل اي تلميذ بالمدارس الثانوية: هل يمشي القمر على الارض حتى نقول عن الفتاة الجميلة مثلا : رايت قمرا يمشي على الارض. الا يعلم ان الصلة بين الطرفين في التشبيه لا يشترط ان تكون من كل جهة بل يمكن ان تكون كذلك .ثم من حيث الحقيقة الا يحيط الشوك بالوردة ؟او لا يتلوى حين تحركه الرياح لانه موجود في الغصن الذي فيه الوردة. ويتصل بهذا انه لا يريد ان يتصور وجود الافاعي في الوديان كما قلت على لسان الوردة:

فمتى تذهب عنه نحو واديها البعيد

وكان يريد ان اقول :

فمتى تذهب عنه لبعيد لبعيد

فهل يعرف السيد القارىء معنى الوادي في اللغة؟وهل ينكر ان الافاعي توجد في الوديان كما توجد في غيرها ؟ثم لو فرضنا جدلا ان الافاعي لا توجد في الوديان الا يعرف وظيفة الخيال في الاستعمال اللغوي الا يقال وادي المنايا ووادي الجن ووادي عبقر.. فاين يوجد وادي عبقر مثلا؟ هل يوجد هذا الوادي ؟وبعد ذلك فان الفرق بين تعبيري التصويري وتعبيره الجامد التقريري هو الفرق بين شاعر يملك الحس الموسيقي ويعبر بالصورة الموحية وقارىء في مستوى السيد محمود توفيق.. ».

ودارت الايام... حتى طلع علينا عبدالصمد خانقاه المحامي بمقال نقدي اخر عن ديوان الشاعر ،غير ان ابراهيم نجا آثر الصمت ،ولم يرد عليه..

من امنيات ابراهيم نجا ان لو كان مقر عمله في بغداد لا في كركوك ليغدو على مقربة من الحركة الفكرية بها ،

(١) ارجو ان افرد مقالا عن « اثر كركوك في شعر ابراهيم محمد نجا ».

(٢) انظر كتابي « شخصيات من الادب المعاصر ـ ١٩٧٠ »

(٣) انظر العدد ٦٣٦ في ٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٦٦

(٤) انظر العدد ٦٤٧ في ١٣ ـ ٧ ـ ١٩٦٦

(٥) انظر ديوان (اغنيات للحب) لابراهيم محمد نجا .

وليتصل بمن يرغب من ادبائها وشعرائها مشاركا واياهم في افانين الحديث والحوار والسجال. لكن هذا كله لم يمنعه من استغلال اوقات الفراغ والعطلات الرسمية للسفر الى بغداد، حيث كنا نخرج معا بسيارتي الى زيارة من نشاء من هؤلاء، وقد تعرف الى الكثيرين ،منهم محمد بهجت الاثري. جعفر الخليلي. حافظ جميل. الدكتور صفاء خلوصي. ناجي جواد. خالد الشواف. مجيد حمد النجار. سالم الالوسي. عبد الحميد المحاري. مثنى محمد نوري. عبد الخالق فريد .حارث طه الراوي وغيرهم..

وفي احدى جلساتنا بدار حافظ جميل طلب اليه ان يقرأ اخر قصيدة له واذا بصوته الحنون ينساب عبر سكون الليل:

شهران .. يا احلام عمري .. يا رفيقة الصبا
ما قبلت عيناي وجهك الحبيب ... الطيبا
ولم يعانق مسمعاي صوتك المحببا
ولم اقل عن كل ما قدمت لي : ما اطيبا

شهران .. ما سمعت فيهما تحية الصباح
اذا بدا في عشنا طير مزقزق الجناح
ولا تحية المساء والمساء ساحر الوشاح

وما تمالك حافظ جميل ،وهو الضنين بالثناء الا على الجديرين به، الا ان يبدي منتهى اعجابه بهذه الصورة الشعرية الموحية ،بانوار اكثر انسحابا على واقع النفس والوجدان.

وفي العام الدراسي الجديد كان ابراهيم نجا قد حصل على وعد من وزير التربية والتعليم يومذاك عن طريق احد اصدقائه الشعراء، بنقله الى مركز بغداد ليستشرف بنفسه تيارات الفكر والشعر ،بيد ان خروج الوزير من الوزارة حال دون ذلك...

اعرف ان لابراهيم نجا قصائد مغناة، منها «يا خالق الكون » و « دعاء » لحنهما كمال الطويل واداهما غناءعبد الحليم حافظ وفايدة كامل ومنها « موكب النور »..هذه التي لحنها عبد الحميد توفيق زكي وغناها كارم محمود ، علاوة على مقطوعات اخرى تغنيها له فائزة احمد ونجاة الصغيرة..

لقد كان ابراهيم نجا ميالا الى اغاني عبد الوهاب وام كلثوم ونجاة الصغيرة بشكل ظاهر ،وحين يستمع الى اغنية لهؤلاء ،يحلق في اجواء الخيالات والتصورات ،تغرقه نغمات عامرة... ذات يوم كان مدعوا عندي واردت ان اسمعه اغنية « الحب والشوق » لنجاة الصغيرة وقد اعجبت بها انا الاخر، فعندئذ وجدت ابراهيم نجا قد فقد الاحساس بالاشياء من حواليه ذاهلا عن واقعه ،فقلت له: ما بك؟ قال : دعني اسم ..ارتفع الى الذرى بلا اجنحة وهو يردد : الله ... الله .. !

وفي لعب (الكرة) كان ذا نزعة (اهلاوية) وطالما رأيته في غرفته في الفندق مشدودا الى المذياع ،يتابع المباراة بكل جوارحه ،وهي تنقل من القاهرة تارة يمط شفتيه بمرارة ،وتارة اخرى يرسل التعليقات على علاتها، وتاة ثالثة يبتسم كالاطفال الابرار ...

صدرت لابراهيم نجا اربعة دواوين شعرية في حياته تلك هي : (حياتي ظلال) و (ايام من عمري) و (الحياة الحب) و (اغنيات الحب). وهناك ديوان خامس اخبرني صديقنا المشترك الدكتورعبده بدوي بانه سيصدر من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ولا ادري لتوي ما حل به ؟ثم أعرف ان ابراهيم نجا قد اعد وهو بكركوك رسالة عنوانها : «نظرات في شعر العقاد» لينال بها درجة الماجستير من جامعة الازهر ،كما وضع في خطته كتابة اطروحة عن « ابي ماضي شاعرا.. » ليحرز بها درجة الدكتوراه ،والذي لا يمكن نسيانه ان ابراهيم نجا كان فرحا في اخريات ايامه لقيام مجلة باكستانية بترجمة عدد من قصائده الى اللغة الانكليزية الى جانب قصائد معاصريه من امثال : عزيز اباظة. صالح جودت. عبده بدوي . مصطفى حجازي . صلاح عبد الصبور . كذلك كان فرحا لقيامه هو بترجمة بعض قصائد الشاعرة الاذاعية سلوى حجازي من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية (٥)..

وما لم ينشره ابراهيم نجا كثير، منه الاشعار والابحاث والاقاصيص المتناثرة في الصحف والمجلات ، اضافة الى ملحمته الشعرية التي تسرد غزوات الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم بعنوان « العودة الى الماضي » عسى ان يتاح لهذا كله مجال الطبع والذيوع في يوم ما...

بانتهاء السنة الدراسية ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ انتهت مدة انتداب ابراهيم نجا ، وعاد الى القاهرة قبيل هزيمة حزيران المنكرة ،تحوطه عواطف اصدقائه ودعواتهم...

وعين بثانوية (بليغ) بهيها وهي مركز قضاء محافظة الزقازيق ،تبعد عن القاهرة مسيرة ساعة ونصف بالقطار السريع. ان هذا التعيين قد اثر في ابراهيم نجا من الناحيتين الفكرية والنفسية تأثيرا كبيرا ،فهو مدرس اول وخدماته طويلة ،ثم مريض بالقرحة في الاثني عشر ،فحقه (العاصمة) لا (القضاء) .من هنا كان متعبا ومتألما تألما اسلمه الى مضاعفات، حتى ادركه يوسف السباعي فنقله في الفصل الدراسي التالي الى مدرسة ثانوية (شبرا)للبنات بالقاهرة ..

ويوم زرت القاهرة في شباط١٩٦٨ لم استطع ان اراه الا في يوم الجمعة المصادف التاسع منه ،اذ يعود فيه الى اهله وذويه بعد قضاء اسبوع واحد من التدريسات والمتاعب المتصلة.

وعلى اسلاك الهاتف ،قال وهو يرحب بي ،ساعة وصوله :

كيف الطفلان (هيام) و (عصام) ؟؟
ــ ما شاء الله..

اليـها

انا اهواك ومضة في دجى العمر
فارى الكون باسما والاماني عذابا
وارى عيشي الجديب وقد صار
انا اهواك واحة يستريح القلب
عطرها المستتر بين ضلوعي
انت يا فتنة الفوائد المعنى
انت ومض الرجاء في عتمة الياس
انت اغلى ما يبهج القلب في الدنيا

تشيع الضياء في ناظريها
تنثال بين ... يديا
مواتا اعدته لي حيا
في ظلها المديد مليا
نغما حبب الحياة اليها
انت يا بسمة على شفتيا
نداء محببا ... عبقريا
واحلى ما في الوجود لديا

البحرين — عبد الله الشيخ

وببراءة الاطفال الذين تنشرح سرائرهم :
— (كمان) ايام .. ؟
— تقبل يديك ..
— انت مدعو من صبيحة الغد عندنا حتى المساء؟
— آسف لارتباطي في الساعة الثانية عشرة بموعدمع محمو تيمور حيث ياتيني الى الفندق الذي فيه احل. وفي الساعة الرابعة بموعد آخر مع نجيب محفوظ حيث نتلاقى في مقهى (ريش) ..
— وهو كذلك...

وجاءني في الموعد المضروب وكنت اتحدث الى نجيب محفوظ ،اذ تجدد بينهما التعارف ثم جلس ينصت الى ما انقطع من حوار.

تفارقنا بعد العشاء.. وبعد الجلوس بعض الوقت في قهوة تطل على ميدان ابراهيم باشا بالقرب من دار الاوبرا...

وقبيل ان نتبادل واياه القبلات الاحوية رجوته ان يرسل الي بقصيدته الوجدانية التي لم تحوها دواوينه المطبوعة مستنجزا سابق وعده اياي ،والتي مطلعها :

كل قيس مع ليلى قد طواها
ومعي الاحلام لا شيء سواها

فوعدني خيرا...
كان ذلك لقاءنا الاخير.

لقد كان ابراهيم نجا انسانا رقيقا.. لطيف العشرة.. مرهف الحس ،في مزاج عصبي لا يظهر عليه غالبا. انما كان يكظم غيظه ويدفن مشاعره الا اذا همزها همزات حادة لا ترحم. كان يشكو الاعياء والقرحة في الاثني عشر مما فرض عليه نظاما صارما في الاكل والشرب وتعاطي انواع معينة من الادوية والعقاقير.. ها هوذا يقول في رسالته المؤرخة بالثالث والعشرين من نيسان ١٩٦٧ : « ولكني قدرت ان اتباع الدقة في نظام الاكل لن يتيسر الا في كركوك وانا الان اقضي فترة حاسمة للعلاج في القرحة ولهذا فضلت البقاء في كركوك مضحيا بما كنت ساسعد به في بغداد ».

ويقول في رسالته الواردة الي من القاهرة والمؤرخة بالعاشر من آب ١٩٦٧ : « فقد كنت في ايامي الاخيرة التي قضيتها بالعراق اشعر بشيء قليل من وطاة المرض ولكني كنت اتماسك ظاهريا خشية ان يعوقني المرض عن الوصول الى القاهرة ولهذا فاني لم اكد اصل الى منزلي حتى ذهب هذا التماسك فبدات اشعر بوطاة المرض شعورا كاملا وفي منتصف حزيران على وجه التقريب راجعت الطبيب فاشار بالراحة المطلقة بعد ان حدد نوع العلاج ».

بينما يقول في رسالته المؤرخة بالرابع من ايلول ١٩٦٨ وهي آخر رسالة تلقيتها منه — : « فقد سافرت انا واسرتي بعد انتهائي من اعمال امتحان النقل في آخر مايو الى مدينتي دمنهور لتوعك صحتي بعد المجهود المتواصل طوال العام الدراسي ،هذا المجهود الذي اثر في صحتي تاثيرا سيئا ،ولهذا اشار علي الطبيب المعالج بتغيير الجو مع مواصلة العلاج ».

وانقطعت اخبار ابراهيم نجا عني....

وفي يوم ٣١ — ٥ — ١٩٦٩ مات الشاعر الرقيق. سكت قلبه الى الابد...

حيث شيع جثمانه ودفن في مدينته (دمنهور) تودعه الدموع والحسرات....

وكان موته بالنسبة الي مفاجاة وصدمة نفسية . انه ابكاني وابكاني... ولكن.. ! ؟

عليه الرحمات السابغات...

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

عاشرت الناس على اختلاف طبقاتهم ودرست اخلاقهم ، وتغلغلت الى مكامن اسرارهم ، فلم ار اثقل دما من ثقيل الدم . ولو اني حللت في مدينة تضم فندقا ذا غرفتين يحتل واحدة منها لص ، ويسكن في الثانية ثقيل ، لركضت الى الاولى آمنا مطمئنا ، فاللص يسرق ما عندك مرة واحدة ،وينتهي الامر . اما الثقيل فيسرق هناءك دفعة دفعة . فيتعكر مزاجك ،ويختل جهازك العصبي ، وتتنابك الامراض المستعصية ، ثم تقضي نحبك مغموما .

وثقالة الدم – ككل ما في الحياة – لها اصول وقواعد واعراف. ولكن بعض الذين يدبون على اثنتين لا يريدون ان يفهموا هذه الحقيقة. داب هؤلاء ان يكونوا ثقلاء وكفى . وثقالة الدم – ككل ما في الحياة – انواع . اثقلها التي يحسب المرء انها خفة . ووالله ما ادري على الرغم من بحثي المتواصل اذا كانت هذه النعمة –ثقالة الدم – تولد في المرء كالشعر ، او تورث كقسمات الوجه ، او تكتسب ... والذي ادريه ان الدنيا تعج بهؤلاء الافاضل ..

وانا ، ايها القارىء ، واثق انك ستستعرض وجوه اصحابك واعمالهم لتضعهم في الطبقة التي هيأتها لهم الاقدار ، ولما كان الاقربون اولى بالمعروف ، فنصيحتي لك ان تبدأ بنفسك .

لا تتنصل من المسؤولية . لو لم تكن انت ثقيلا لما سودت انا هذه الصفحات واسمع الايضاح :

انك قارىء ، وللقراء علي عهد بان اقدم اليهم بين الحين والاخر عصارة تفكيري . فاذا تقاعست، شعرت بتقصيري . وكان في مكنتي، لولاك ، ان اصرف الوقت الذي يقتضيه تحبير مقالتي، بطالا مرتاحا. فماذا تسمي مطالبتك المعنوية اياي بان اهدي اليك بنات دماغي ؟

وانا مثلك ايها القارىء ثقيل. اني اكتب هذه الصفحات لك، فانت مرغم على ان تقراها ، مهما كان لديك من مهام ، ولو لم اكتبها لظلت فارغة ، ولمررت بها مرور الكرام. وما احلى بضع صفحات بيضاء في صحيفة او كتاب . فماذا تدعو اذن حملي اياك على قراءة مقال ، كان في امكانك ان تصرف وقت مطالعته بطالا مرتاحا؟

واصحح ما قلت سابقا : انني خرجت من دروسي المتوالية بهذه النتيجة : ان ثقالة الدم قضية فظيعة جدا .

ولكن لا تخف ، مهما كنت ثقيلا. ان الله سبحانه وتعالى الذي بدع السم سكب في عقل المرء ذكاء ليخترع الترياق .



ثقالة الدم ودواؤها

بقلم الياس قنصل

اذا ابتلاك الله بثقيل ، وأردت ان تتخلص منه ، فما عليك الا ان تكون اثقل منه . وهذه مسألة سهلة عليك كما اظن .

كنت مسافرا في داخل البلاد، وكان رفيقي في غرفة النزل رجلا لا اذاقه الباري لصديق ولا لعدو فما كدت اغفو بعد ان عالجت نفسي كعادتي معالجة طويلة، حتى ايقظني ليسألني عن الساعة . وعاد ، بعد لحظات ، الى ايقاظي ، ليسألني عما اذا كانت ساعتي مضبوطة . ولم يتورع عن ايقاظي ، ثالثة ، ليخبرني ان ساعته مقصرة عن ساعتي اربع دقائق .



وطلع الصباح . وذهب ليغسل وجهه . فتناولت جرة الماء وصببتها على فراشه ، وخرجت .

ولا تحسب ان هذا الدواء بسيط، كثيرا ما تضطر الى اجهاد فكرك لتركب تفاصيله ، وهو سيف ذو حدين اذا لم تحسن استعماله عاد عليك وبالا ، والوبال ان يشتهر عنك انك ثقيل .

من معارفي – رجل لا اعلم بالضبط متى بدات علاقاتي السطحية به، فقد كنت اراه مرة او مرتين في الشهر فاحييه ويحييني ، ويمضي كل منا في سبيله . وكنت راضيا كل الرضى عن هذه الصداقة التافهة ، ولكن الدهر الذي لا يروقه ان يتجرع المرء كؤوس الهناء صافية ، ابى الا ان يعكرها علي ، ورجائي تعكيرها، لابسا دعوة من الرجل الى زيارته في بيته ، وما برح يلح علي الى ان رضيت ، وابدى من ضروب الضيافة الحسنة ما حملني على شكره .

وتناهضت لوداعه ، فقال لي :

– لقد كلمت قرينتي عنك مرارا وعن موهبتك الخطابية، فأعجبت بك مثلي ، فتكرم والق خطابا امامها لتتأكد اني لم اكن مبالغا .

– فقلت له : – ما من مناسبة للخطابة .

– قال : – لا بأس ، اي خطاب كان .

– فقلت : – ان قرينتك بولونية الاصل ، وهي لا تفهم اللغة العربية، وانا لا اتكلم – خطابة – الا بها .

– فقال : – لا بأس ، اخطب باللغة العربية . ان كثيرين من الذين يصفقون لك لا يفهمونك .

– قلت : – اعذرني فاني غير مستعد لهذه المفاجأة الجميلة ، وانا فتى اعد خطبي اعدادا طويلا .

ولم اتخلص منه تلك الليلة الا بعد جهد جهيد. وخرجت من الدار وانا اشكر ربي، عاقدا نيتي على ان اقطع حبال صداقته الواهية.

وزارني بعد اسبوع ودعاني من جديد الى بيته. فرفضت. فقال: اني باق عندك هنا الى ان تقبل دعوتي. ونفذ تهديده. وظل في داري عشرين يوما. ووعدته اخيرا بزيارته لاتخلص منه.

على اني هذه المرة اتخذت الاحتياطات اللازمة، ورغبت من عشرة اصدقاء ان يرافقوني، ففعلوا ولا انكر: كان الطعام لذيذا. وانتهينا منه عند نصف الليل تقريبا فتقدم مني، وقال:

ــ ان قرينتي تريد ان تسمعك خطيبا.

ــ قلت: ــ لبيك ولبيها، غال وطلب رخيصا. من عادتي ان افتح الابواب والنوافذ، لاني احب ان اتنشق الهواء الطلق، وانا اخطب. ففعل.

وجمعت كل ما وهبني الله من قوة في حنجرتي، وبدات اخطب. وكان اصدقائي عملا باشارتي، يصفقون بين العبارة والاخرى، ويهتفون هتافا عاليا.

وطال خطابي. والحق انه لم يكن خطابا وانما كان صراخا عاليا موضوعه «على الدنيا ومن فيها السلام».

وسمعت حركة الجيران، ووصلت الي عبارات التذمر. وطرق الباب. فذهب صاحب الدار ليفتح. وانا ماض في خطابي، واصدقائي في الهتاف. وسمعت جلبة على الباب. فلم ابال بها. وسكنت الجلبة بعد ربع ساعة، وانا لا ازال اخطب..

والى القارىء ما جرى مختصرا: طرق الجيران الباب، فذهب صاحب الدعوة، فطلبوا منه ان يكف عن الضجة التي يقوم بها، او بعبارة اصح عن الضجة التي اقوم بها انا واصدقائي، فاستحيى ان ينبهني، فانتهروه، فاجابهم بقسوة، فقابلوه بالمثل، وتقدم منه احدهم، فصفعه، فانبرت امراته لتدافع عنه، وتبودل الضرب بينهم واللكم والركل والعض والنهش، وكانت معركة لا تختلف عن المعارك الفاصلة في التاريخ الا بان خططها بيتية مرتجلة. وجاء الشرطي فساقهم جميعا الى دائرة الامن

وانتهيت من خطابي، فاغلقنا النوافذ والابواب، وتوجهنا الى بيوتنا.

والتقيت بالرجل بعد ايام، فاذا بنصف وجهه مغطى بالعصائب البيضاء، فحياني تحية خفيفة، واسرع مبتعدا عني.

وهاك حادثة ثانية: نحن في قاعة ناد نشرب فنجانا من القهوة بعد حفلة اجتماعية، وجاري رجل من اثرياء الحرب، يدل عليه الزرد الذهب، الذي يعترض صدره، كأنه الجسر تمر عليه الماشية. ومال علي، ونكز صدري بكوعه، فكاد يحطم اضالعي، فابتسمت له منتظرا اعتذاره، فلم يفعل كأن صدري مما ربحه زمن الحرب بالمضاربة، فهو يتصرف به كما يريد، وقال:

ــ ما رأيك يا استاذ، هل ترخص اسعار الحنطة في اوروبا؟

فاجبته: ــ كلا

وظننت ان نشوفتي تحول مسايرته الى غيري. ورشف ما تبقى من فنجان القهوة، ثم قلبه على قفاه، فانسكبت ثمالته على معطفي، وقال دون ان يبدو على وجهه اقل اثر للخجل:

ــ ما رأيك يا استاذ هل تحرز الروسيا ما تصبو اليه من ارب؟

فاكتفيت بان هززت راسي هزة النفي. ولم يعبأ بجوابي الجاف، ففتح كمي ونفض رماد لفافته فيه، وقال:

ــ ما رأيك يا استاذ في الازمة الوزارية في يوغوسلافيا؟

فلم اجب. وحسب اني لم انتبه اليه، فبسط اصابعه، وربت كتفي، فشعرت كأن هزة ارضية ترض ما في هيكلي من ادوات لازمة للحياة كالقلب والرئة والكبد وغيرها.

وحان تطبيق الدواء. فالتفت اليه، وقلت:

ــ ما اجمل هذا الزرد كم ثمنه؟

وشددته من عروته، فقطعت ثلاثة ازرار من معطفه.

فاجاب، وقد تضايق شيئا:

ــ ثلاثة الاف.

وحدقت الى جيبه، فرايت قلما مدادا، فانتشلته ووضعته في جيبي قائلا:

ــ انت لا تحتاج الى هذا القلم كما افتقر انا اليه، فشكرا لك، سأحتفظ به تذكارا ابديا منك.

فلم يفه ببنت شفة. ولكني لم اتركه، فنكزته بقبضة كفي، وقلت:

ــ ارجوك ان تكتب لي عنوانك لاطلب من جميع اصدقائي الصحفيين ان يوافوك بجرائدهم لتشترك فيها فوقف، وقال: ــ الى اللقاء يا استاذ، لقد غلبتني، لعن الله من يقول انك خفيف الدم...

عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

شقراء

شقراء يا عالما قد كنت اجهله	يموج بالعطر والانوار والنغم
لما اطل على قلبي بفتنته	احسست حبك في روحي سرى ودمي

بغداد ــ ص. ب ٤٦٧ — باقر سماكة



محمد اديب العامري

الفن القصصي عند امين فارس ملحس

بقلم محمد اديب العامري

* * *

تراودني وانا اقدم هذه المجموعة القصصية ، التي اخرجها السنة الفائتة الاستاذ امين فارس ملحس ، فكرة حول النشر الادبي اليمة بعض الشيء ، وتلقي بثقلها على كواهل الادباء الاردنيين اكثر مما تلقي به على كواهل غيرهم من الادباء العرب ، اللهم الا ان يكون ذلك متعلقا بدون عربية ناشئة لا نعلم كثيرا عن الوضع الذي يسودها في الكتابة والنشر .

فالاديب الاردني يعاني محنة قاسية في نشر ما ينتج ، لان الرقعة ضيقة ووسائل النشر الاردني محدودة. وما يتم من النشر عن طريق القاهرة او بيروت لا يتاح لكل كاتب مستحق ، الا اذا كان واسع الشهرة وطيد الاركان. واذا اقتصر نشر الانتاج الاردني على النطاق المحلي فان التكاليف تحول دون مجازفة لا مناص منها لمؤلفين تقصر مواردهم عن النهوض باعبائها .

والذي اعلمه ان المحنة ذاتها تقف في وجه الكتاب العرب في كل مكان ، ولكنها فيما المعت اشد وطأة في البلدان العربية القليلة القراء والسكان . ومن هنا يخطر بالبال ، كما يخطر في مجالات كثيرة اخرى ، ضرورة العمل الدائب لانجاز الوحدة العربية الشاملة ، او شبه الشاملة ، او المراحل الاولى منهما على اي حال . ولن تصيب فائدة الوحدة النشر فحسب ، كما هو معلوم ، ولكنها ، اذ تقوض هذه الحواجز المؤذية الكريهة التي اقامها الاستعمار بين قطر وقطر ، ستضفي على الوطن العربي كله قوة وخيرا لا حدود لهما .

والارجح ، على هذا ، انه او لم تقم وزارة الاعلام الاردنية بطبع مجموعة الاستاذ ملحس لما رات هذه المجموعة النور او شيئا منه . وحتى في هذه الحالة ، فان الوزارة تخرج اعدادا محدودة في طبعة واحدة يقتصر نشرها على جهات معينة وعلى السوق الاردنية . فاذا نشر المؤلف انتاجه على نفقته لم يجد في السوق وحدها الاقبال الكافي للعمل على النشر ، ومن ثم العمل على الانتاج .

لذلك اجدني ، وانا اتحدث عن قاص اردني موهوب مثل امين فارس ملحس ، انما اتحدث عن قاص لا تعرفه الاقطار العربية الاخرى ، او تعرف قليلا جدا عنه . واكاد اجزم بان القاريء العربي الكريم خارج الاردن لم ير الانتاج الذي اقدمه له ، وانه في الارجح لن يجد انتاجه في سوقه العربية ، التمس سبيلا الى ذلك او لم يفعل .

اما المجموعة القصصية التي نقدمها فقد صدرت تحت عنوان « ابو مصطف وقصص اخرى » . وتتألف من اثنتي عشرة قصة موضوعة ينيف طول كل منها على عشر صفحات من القطع المتوسط . والمجموعة كلها ١٤٥ صفحة . وهي المجموعة الثانية لهذا القصصي الهادف الذي يعرف ما يريد ويقدر موضع اقدامه .

وقد مهد لها المرحوم محمود سيف الدين الايراني ، فقال ان الاستاذ ملحس « يكتب الكثير في غير القصة، فهو يترجم وينشىء المقال ، ويبحث في شؤون التربية والتعليم ، ويمارس كتابة المسرحية الاذاعية ، ولكن هوى قلبه وقلمه مع القصة » . وهو قول يصف الاستاذ ملحس وصفا دقيقا .

وقصص ملحس من النوع الواقعي الحديث ، فالكتابة تعكس واقعا خبره الكاتب بنفسه ، والحركة ايقاع صادق لما دار ويدور في فلسطين والاردن . وهو في هذا يعتمد على ممارسة اعانته عليها مهنة التعليم التي تنقل بسبب منها في ربوع القدس وفلسطين والاردن جميعا ، وبخاصة في اوساط الثائرين واللاجئين والفقراء والمساكين .

فاذا اقتربنا الان من القصة الواحدة عند ملحس، فالقاريء اعلم بما في دراستها او نقدها من مشقة . ان القصة كاللحن الموسيقي ، اما ان يرضيك او لا يرضيك ، وقلما تستطيع التحليل ، او يكاد التحليل يفسد المذاق . وواضح من مقدمتنا الطويلة ان قصة الاستاذ ملحس ناضجة جميلة . وقد تجد قصة او اخرى تشذ عن القاعدة ، مثل لحن المايسترو الذي لا يروقك . وسنتناول هنا العنصر السائد في القصة او جوها الرئيسي ثم الاسلوب ثم الهدف .

اما العنصر السائد في معظم القصص فهو الصور المؤثرة للنزعات الوطنية المتأججة في نفس الشعب والدعوة غير الموجهة التي تمثل هذه النزعات . ومحاربة الفقر عنصر اخر سائد في المجموعة . وكان هذا الهدف موجها بصراحة في مجموعة ملحس الاولى « من الواقع » ، التي اورد فيها كمقدمة قول اوسكار وايلد باننا « كلما حاربنا الفقر انقذنا كرامة الانسان » . وفي سبيل هذا يستند القاص الى ثورات اللاجئين وهبات الشعب الفلسطيني لمقاومة الاستيطان الصهيوني والانتداب البريطاني قبله .

وتسود المجموعة العناصر المتعلقة بالاشخاص والاحداث والاجواء التي تتحرك فيها الاشخاص وتقع الاحداث . والقارىء يخرج من هذا جميعا ملء الجوانح بشعور المشاركة في الثورة على الاستيطان والاستعمار وضرورة الاصلاح الجذري للمجتمع العربي.

ومن خير ما يمثل الاشخاص صورة الكهل ابو مصطفى نفسه ، صاحب المواقع البطولية التي خاض غمارها منذ العهد التركي ، والتي ظل يرويها ويعمل بمضمونها حتى سقط شهيدا في معركة شعبية ضد زحف العدو الصهيوني في موقعة « الزقاق الضيق » التي افتدى بها سائر اهل الحي الذي ينتمي اليه ، داحرا وحده العدو الذي كان يهدف الى تطويق الحي بحركة التفاف من ذلك الزقاق .

وثمة شخصية حياة البلابسة المعلمة التي تشترك في الدفاع عن دير ياسين الشهيرة ، ثم احمد الصبي المناضل الذي يشترك في مقاومة الاحتلال ، وشخصية جاد الله الفتى الذي يجود بنفسه دفاعا عن وطنه فلا يجد اهله له اثرا الا صرة لملابسه يحتفظ بها المستشفى لمن يسأل عنه من اهله ، وشخصية ابو شحادة الذي يهيم حبا بارضه الخاصة في فلسطين وبزيتونه هناك اكثر من حبه رغد العيش في اميركا المترفة عند ابنائه الذين لا يفلحون في رده عن العودة الى وطنه والذين ربما احب الارض والزيتون اكثر منهم ، فيترك لهم حسب رغبتهم صرة صغيرة من تراب ارضه كان قد حملها معه ، ثم يعود .

وعلى هذا النمط من حيث الشخوص وبيئاتها واجواؤها تسري كافة القصص ، الا قليلا ، فتهزك من الاعماق كثيرا وتستدر الدمع من عينيك احيانا ، ولولا التصاق القاص بنفسه بارضه لما برع في الوصف هذه البراعة او بلغ الاثر الذي وصفنا .

اما اسلوب القصص وحبكتها فللكاتب فيها استراتيجية خاص تكاد تتكرر في كل قصة . اذ هو يلقي اليك في مطلع القصة برواية مكتنزة لها ولمعناها ، فاذا هي كلها تحت بصرك في خلاصة تشدك اليها منذ اللحظة الاولى ، كالصاروخ الذي يثور ويزأر ويرتفع بناره ، ثم يمضي في مساره . باب ينفتح ثم يفضي بك الى داخل البيت لترى تفاصيله .. تفاصيل البيت . ثم تتسلسل الاحداث واحدا بعد الاخر في نسق طبيعي مطرد . فاذا صادفت في الطريق مفاجأة او استئنافا للعرض جاء ذلك سائغا لا تحس فيه نبوا ولا شذوذا .

واما الكلمات التي ينظم منها القاص لغته فتنطلق بشكل عفوي لا تكلف فيه ، وتنزل الكلمة في مكانها احيانا كثيرة تنزيل المحار في صنعة الحفار . وينساق من ذلك الى اللغة العامية او ما يجاورها فلا يتردد في الانسياق ويؤدي الاستطراد الى عمق في الاداء وايضاح للقصد يلذ للقارىء ، فابو مصطفى عمل ايام « السفر برلك » . والاب رجل « جدع » ، وابنه احمد « ريقه نشف » !

وتختلط بالسرد الجدي نبرة ساخرة تهكمية احيانا تكاد تحملك على الضحك في مواقف محرجة خير ما يعرب عنها قولك « شر البلا ما يضحك » .

وليس مع المفاجأة او الانعطاف اللذين اشرنا اليهما « عقدة » حقيقية في الحبك . وهي العقدة التي تحمل القارىء على الاسترسال في المطالعة والتي يرى بعض القصصيين ان في الالتزام بها تصنعا لا مبرر له . بل الامر هنا على العكس ، فقد يسترسل القاص في الوصف احيانا ، واحيانا قليلة ، حتى لا يترك لك مجالا للتفكير او الاستنباط .

ولا يستعمل الاستاذ ملحس التنقيط القصصي الذي يحفظ كلام المتحاورين من الاختلاط ، وان كان الواقع ان الاسلوب لم يؤد بي الى ارتياب او تشوش .

وقد اصبح هدف القاص او هدف المجموعة واضحا في الغالب مما اوردنا تحت ملاحظاتنا عن العناصر السائدة فيها ، وهو هدف وطني واجتماعي بناء في غير وعظ ولا ارشاد . انه يمس شغاف قلبك فترضى عنه كل الرضى وتنساق معه كل الانسياق . ولكني في الحقيقة لم اجد ان قصة « شموع العمر » التي يتلهى فيها من مرضه شيخ طاعن في السن على صورة توحي احداثها بانه رد الى ارذل العمر ، فتنطفىء شموعه وتنتهي حياته . لم اجد ان لهذه القصة مكانا في خضم القصص المتفجرة التي تحيط بها من امام ومن خلف .

وبعد فاذا اردت ان تعرف قضية فلسطين بشعورك واحساسك ، فاقرأ « ابو مصطف » .

عمان ـ الاردن — محمد اديب العامري

النقد والغربلة

بقلم كعدي كعدي

* * *

النقد لغة هو تمييز جيد الدراهم من رديئها واظهار ما في الكلام من عيوب ومحاسن . والغربلة تنقية الحبوب من الزؤان ويغلب استعمال النخل للدقيق والغربلة للحبوب ومنه المثل : « من غربل الناس نخلوه » .

والنقد والغربلة فنا هما اصلاح الخطأ والفساد وتقويم الاعوجاج وازالة الاوهام والاباطيل والاضاليل والسير بالانسان في معارج الخير والتقدم والجمال الى ذروة الحقيقة والكمال ..

كل ما في الحياة يرمز الى النقد والغربلة ، الا ترى الى الطبيعة كيف يثور شتاؤها على ما اجتث من فساد صيفها فيبعثه الربيع ازاهر تتلألأ ابتسامات على ثغور الحدائق والحقول ؟ والى الصيف كيف يحول وحول الشتاء وهزيز الرياح وهزيم الرعد الى خيرات تملأ الاهراء ونسمات بليلة تنعش الارواح ؟ والى السحاب كيف يحول ماء البحر الاجاج الى غيث قراح ينسكب على الارض فيكسوها من البهجة والجمال حللا قشيبة ؟ وهل سنة التكرار التي تجري عليها الحياة الا تصفية الصالح من الطالح ؟ وهل انبتت ارض محجرة شائكة قمحا لو لم تمتد يد الزارع الى تنقيتها من الحجارة والاشواك؟ ام هل اعطى بستان ثمرا صالحا او لم يعمل البستاني مبضع التشذيب في ما يبس من اغصانه وما نخر السوس ؟ أوليس الزمان اكبر مغربل فكم سقط تحت غرباله ملايين من زؤان البشر وكم سقطت اعوام وقرون واجيال تحت غرابيل جبابرة الروح ؟

فالنقد سنة لا سبة . بقدر سمو النقد عن التجريح والتقريع والتحقير والتبخير يسمو النقد والناقد والمنقود .. الناقد كالمرآة الصافية يعكس حقيقة المنقود كما هي فلا تجريح يجعل الحسنة سيئة ولا مداهنة تجعل السيئة حسنة ولا جبن او جهل يخلعان هالة من المجد على رأس طاغية مستبد ، ولا قوة غاشمة ترفع لئيما الى عرش كرامة ..

عظمة النقد ان ينتقد الانسان نفسه فمن في عينه خشبة لا يرى القذى في عين اخيه .

النقد مدرسة للناقد المنقود والقارىء ، فالناقد يجعل الحقيقة محجته فترتد عنه سهام النقد ، والمنقود يعرف خطأه فيصلحه ، والقارىء يتخذ من هذا وذاك درسا يجنبه الاخطاء والاغلاط .

لاقات النقد الجرأة والحرية والشجاعة وسعة الاطلاع والثقافة والتجرد والنزاهة فاذا اصيبت الافكار والاقلام والالسن بامراض الجبن والخوف والجهل والرياء اصيبت الحقيقة باعضل الامراض ، وامة تعتل حقيقتها تعتل وهل اعل الشرف غير الجبن والخوف والوهم ؟

ان امة تخلو من النقد تخلو من الحقيقة وامة تخلو من الحقيقة تخلو من الادب ومتى خلت من الادب خلت منها الحياة فتسودها الفوضى والجمود فلا خلق ولا ابداع ولا تجديد .

من ادعى انه فوق النقد كان اولى الناس بالنقد فالاستكبار غرور والغرور آفة الانسان .

اليس من التمويه والتضليل ان تتهم من ينتقد عليك ادبك انتقادا حقيقيا بانه دونك ثقافة والثقافة هي الحقيقة وكل ثقافة بلا حقيقة زيف ودجل ؟

الثقافة هي المعرفة والمعرفة هي مفتاح الحياة والحياة هي هي في كل زمان ومكان ابوابها مفتوحة لكل ذي عقل نير وفكر ثاقب شرقيا كان ام غربيا . الا ترى الى الامام علي كيف كان وما زال ينبوعا يتدفق علما وعدلا وحرية ، والعجمة لم تعرف الى لسانه سبيلا ؟ الا تسمع صوتا مدويا في الارض بان الارض لم تعرف رجلا مثل عدل الله في الارض كابن الخطاب وهو لم يدخل جامعة لانه كان اكبر من الجامعة .

وايليا ابو ماضي لم يكن اجنبي الثقافة بل كان عربيا بدمه وروحه وقلبه ولسانه وقرن العشرين يباهي شعراء العالم بشعره . والقروي فخر العروبة وان تكن جامعات الغرب اقفلت ابوابها في وجهه فان الحياة فتحت في روحه كوى الشعر فجاء شعره من الحياة وللحياة .

وماذا تقول بالياس فرحات الذي ثقف نفسه بنفسه وشعره يزهو على اي شعر شاعر حمل اعلى الشهادات من اعلى الجامعات . الا ترى ان تمجيدنا الغرب ولغة الغرب واحتقارنا نفوسنا ولغتنا كان سبب انحطاطنا وما زال ؟

فالناقد رسول الحق والحقيقة فهو ينشد حاكما يحيا حياة الحق لا حاكما يتحكم بالحق ، ينشد رئيسا لايشبع وفي رعيته جائع فيقول مع عمر بن الخطاب .. اخشى ان يموت جمل على شط الفرات جوعا ويسألني الله عنه لا رئيسا يميت شعبه جوعا ولا يخشى ان يسأله الله عنه .

ان لمن خير الامة ان يتناول النقد مجالات الحياة كافة فمن يحصر النقد في ناحية من نواحي الحياة كمن يحصر ضوء الشمس في بقعة من بقاع الارض ، الم يكن الدين قبل هدي الانبياء عبودية للريح والشمس والنار والهواء والطاغوت والاصنام والاوثان ؟ الم يكن الانسان في عهد الرومان وما قبله قنا يباع ويشرى تبعا للارض بلا ثمن حتى ارتفعت اصوات محرري الانسانية منادية ؟ ما لكم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

وصف سحابة

عصفت بها الانواء فاصطفقت في صفحة الجوزاء من ذعر
فكأنها والريح تزحمها فلك هوت في لجة الغمر
عاينتها خفقت مصفقة كجناح نسر حط من وكر
او كالشراع يرف من قلق خوف الخضم وزحمة القعر
ورأيتها والليل معتكر كملاءة مطوية الستر
والريح تنشرها وتقبضها قسرا وتزجي الشطر بالشطر
خفقت كأعلام مفوفة يوم الوغى من نشوة النصر
وتجيش في الافاق صاخبة مثل الخضم بمسلك وعر
تنساب مثل الصل اخصره طل هما من ريق الفجر
واذا ارتمت في الافق تحسبها حوتا يزاحم لجة البحر
طوت الفضاء الرحب دون هدى كمشرد في مهمة قفر
واذا حدا ركب الرياح بها سالت مدامعها على النحر
واذا تملكها الشجا شهقت واسترسلت عبراتها تجري
تبكي بكاء الصب اوجعه صد الحبيب ولوعة الهجر
او مثلما هتفت مطوقة وهنا لفرط وساوس الصدر

آمالنا سحب مشتتة تطوى وتنشر دون ما ندري
تجتاحنا الايام ساخرة كالريح تزجي السحب بالزجر
لله آمال مروعة عبثت بدوحتها يد الدهر
لا تستقر كأنها كرة يوما على حال من الذعر

دمشق عدنان مردم بك

اليس من هذا القبيل ذاك الغني الساحب ذيل خيلائه على بني الانسان نظرائه الذي يكدس الاموال اكداسا وامواج الحاجة والفقر تتلاطم حول الفقراء والمعوزين فتدفعهم الى الترامي على اعتابه والفطرسة تصم اذنيه عن اناتهم واصواتهم وعن صوت امام الانسانية المدوي . « ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما متع به غني » .

وهل المتربع على عرش عاجي والناس من حوله يتخبطون في دياجير الشقاء والمحن ولا يتحسس باحاسيسهم ولا يشاركهم في آلامهم الا مثال صارخ للاستعلاء والمستعلي عند الناس رجس في عين الله .

ان الانسان لو استجمع العلوم والفلسفات باسرها ولم تؤده الى معرفة ان سعادة الانسان في اسعاد اخيه الانسان وان العدل كل العدل في ان لا يريد لغيره ما لا يده لنفسه كانت علومه وفلسفاته وبالا عليه .

العدل ميزان الله في الارض تحمله يد تقول مع الخليقة : القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له .

ليس كالادب هاديا الى العدل فهو المحور الذي تدور عليه الحياة فمن عرف الادب عرف الحياة ومن فاته الادب فاتته الحياة .

الادب ما يكشف النقاب عن الحقيقة حقيقة الانسان حقيقة كل شيء والاديب الذي لا يستقي ادبه من معين الحقيقة افاك ولو جاء بالايات البينات .

ليس كالتناقض دليلا على بعد الاديب من الادب فالذي تناقض اقواله افعاله وافعاله اقواله وحياته تغاير ما يقول وما يفعل هو لمام ادب وليس باديب .

اوليس من صميم هذه الفئات ذاك الاديب الذي يزهدك بالدنيا وقلبه في الدنيا والدنيا في قلبه ؟

فالادب ما ينبع من شخصية الاديب لا ما يلتقط من هنا وهناك فهو يسمو بسمو الشخصية وينحط بانحطاطها وذروة الشخصية ان يعرف المرء نفسه فيعرف ان الانسان اخو الانسان واذ ذاك لا يرى انه ارفع من الاقزام ولا احط من الجبابرة . هذا هو الادب والناموس والنقد والنقاد .

كعدي كعدي



عبد الرزاق الهلالي

شعراء من العراق

محمد ناجي القشطيني

١٣١٠ هـ – ١٣٩٢ هـ

١٨٩٢ م – ١٩٧٢ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

ان هذا الشاعر الذي نقدمه للقارىء اليوم ،من شعراء الطليعة في العراق ،الذين اسهموا مساهمة كبيرة في تربية النشء الجديد ، وبث المشاعر القومية والاحاسيس الوطنية في نفوس ابناء الشعب !

لقد كانت قصائد هذا الشاعر القومية واشعاره الوطنية ،وخطبه الحماسية ،ذات اثر كبير في استنهاض الهمم وبعث الامل في النفوس ،فقد ظل يغرد بشعره في جميع المناسبات القومية والاحداث الوطنية والحفلات الدينية طوال خمسين عاما او يزيد ،فمن هو هذا الشاعر يا ترى ؟ !

آل القشطيني : وقبل التحدث عنه ،نقول انه احد ابناء آل القشطيني ،الكرام ،هذه الاسرة العربية العريقة التي يتصل نسبها بآل حمدان ، امراء حلب ، وفد بعض ابنائها الى بغداد ، بعيد فتحها من قبل السلطان مراد الرابع ،واتخذوا لهم فيها مقرا ،حيث سكنوا في المحلة المسماة اليوم (محلة التكارتة) الواقعة في جانب الكرخ!

ومن الجدير بالذكر ان المهنة الرئيسية لابناء هذه العائلة ،كانت (التجارة)بين العراق وسوريا وبقية الاقطار العربية القريبة ،ولذلك بقيت هذه المهنة ،مهنة الابناء،بعد الاباء والاجداد ،ومع هذا فقد نبغ من بين افراد هذه العائلة ،عدد من رجال العلم والادب الذين كانت لهم مكانة بارزة وشأن كبير في المجتمع البغدادي !

ويعتبر الحاج عمر جلبي القشطيني من أبرز رجالات هذه الاسرة في العهد العثماني الاخير ويعتبر جد الاسرة المعروفة اليوم في بغداد !

محمد ناجي القشطيني : وشاعرنا المترجم له ،هو محمد ناجي ،بن الحاج عبد الوهاب بن عبد الحميد ابن احمد جلبي بن ياسين جلبي بن الحاج عمر جلبي القشطيني.

وامه هي الحاجة امينة بنت السيد محمد القصاب واخت العلامة الشيخ عباس حلمي وعبد العزيز القصاب والد صديقنا الدكتور عبد المجيد القصاب !

لقد كانت ولادة هذا الشاعر في مدينة كربلا سنة ١٣١٠ هـ الموافقة لسنة ١٨٩٢ م اما كيف ولد في هذه المدينة وهو ابن الاسرة البغدادية فقد حدثنا عنه قائلا :

« قبل ان اولد حدث طوفان عظيم ، بين النهرين، فامات الزرع والضرع ،وخسر والدي ،رحمه الله،خسائر فادحة ،لموت زراعته وحيواناته ،وتشرد فلاحيه ،فاضطر الى قبول وظيفة في كربلاء ،وبقي فيهااربع سنوات ،وهناك ولدت وفطمت ! »(1)

وقد اكد هذه الواقعة ،شعرا ففي يوم احصاء النفوس العام الذي اجري في العراق يوم ١٤ – ١٠–١٩٦٥ سأله موظف الاحصاء ،عن مسقط رأسه فأجابه بهذه الابيات قائلا :

ايها الكاتب الذي زار بيتي ... يوم تسجيل الناس للاحصاء
انني قد ولدت في خير ارض ... هي ارض الشهيد في كربلاء
ولهذا كانت حياتي كربا ... وبلاءا في صبحها والمساء
فعسى ان ارى السعادة لما ... أصل الله أرحم الرحماء

تربية واعداد : نشأ محمد ناجي ،في بيت ميسور الحال ،عريض الجاه ،وتربى في كنف والدين كريمين ،ولم يكد يبلغ مبلغ الصبيان ،حتى رغبت امه في ان يتولى تربيته اخوها الشيخ عباس حلمي القصاب امين الفتوى . فاستجاب أخوها لهذه الرغبة ،وحقق امنية اخته ،حين احتضنه طالبا في مدرسته الدينية التي كانت قائمة انذاك في جانب الكرخ من بغداد ،وبعد ان تعلم القرآن الكريم ، بدأ يدرس على يدي خاله بعض مبادىء العلوم العربية والدينية المتعارف على تدريسها في مثل هذه المدرسة الدينية !

---

(1) ديوان اللهفات محمد ناجي القشطيني – بغداد ١٩٦٨

الى سامراء : وحين عين خاله ،مديرا للمدرسة الحميدية الدينية في سامراء ،سنة ١٣١٧ هـ ،سافر معه، على صغر سنه ،وظل في كنفه رغبة من والدته في اكمال تحصيله في هذه المدرسة العالية ، فظل في هذه المدينة مدة سبع سنوات وهي المدة التي قضاها خاله مديرا لهذه المدرسة.

العودة الى بغداد : لقد عاد خاله لاشغال وظيفة دينية فيها ،فعاد معه لينعم بحنان والديه ،بعد ان حرم منه طوال تلك السنين ،الا ان حياته الجديدة ،سرعان ما خالطها الحزن والكدر ،فقد فجع بوفاة والده ،فكان لهذه الوفاة اثر كبير في نفسه ،اذ مات ابوه مخلفا له ما لاطاقة له بحمله من المشاكل ،ولذلك ظل في حيرة من امره لا يدري ماذا يعمل وفي اي اتجاه يسير! ولقد نصحه عمه الحاج محمود جلبي بترك العمل الزراعي ،والانصراف كليا الى مواصلة الدرس والتحصيل ،فنزل عند رأي عمه ، واخذ يحضر مجالس بعض العلماء من اصدقاء عمه وخاله وابيه ويدرس عليهم الدروس الدينية والعربية! وبينما هو مستمر في هذه الدراسة ،اذا بالقدر يصدمه صدمة اليمة ،حين فجعه بوفاة عمه !

في كنف خاله عبد العزيز : ولما اعلنت الحرب العالمية الاولى ،ودخلتها الدولة العثمانية ضد الحلفاء ،واصبح العراق ميدانا من ميادينها ،كان خاله عبد العزيز القصاب قائمقاما لقضاء طويريج الهندية ،انذاك ،ولذلك سارع بالذهاب الى خاله ،والعيش في كنفه في تلك المدينة الصغيرة الا انه لم يكد يستقر فيها فترة من الزمن ،حتى سقطت مدينة بغداد بيد قوات الاحتلال البريطاني فتقرر الانسحاب من الهندية ،شمالا ،وهكذا ترك خاله وبقية الموظفين الاتراك تلك المنطقة صعدا الى الشمال ،حتى استقر به المقام في مدينة عانة ،وفي خلال هذا الانسحاب ،كان شاعرنا الشاب ينظر الى حالة المدن والقرى التي يمرون بها ، فيختزن في ذاكرته ،ما كان يرى فيها من صور البؤس والشقاء !وقد نتج عن ذلك قصيدة ،ضمنها كل تلك الصور والمناظر المؤسفة !!

الرجوع الى بغداد : وبينما هو في مدينة عانة تلقى خاله امرا من وزارة الداخلية يقضي بنقله قائمقاما لقضاء الزيبار في ولاية الموصل ،فتجاه هذا الامر ،اضطر شاعرنا الى العودة الى بغداد بالرغم مما يحيط به في طريق عودته هذه من مشاكل ومخاطر واتعاب ،فوصل بغداد في مطلع سنة ١٩١٨.

في دار المعلمين: ولما حل بين اهله وذويه ،جاء لزيارته والترحيب به ،صديقه الاستاذ طه الراوي ،ثم ما لبث ان حدثه عما جاء به في الحقيقة من اجله ،ذاك هو ترغيبه في الانتماء الى مدرسة دار المعلمين التي فتحت في بغداد منذ فترة وجيزة ،وعين لادارتها الاستاذ حسن وفقي ال قاضي ولما وقف القشطيني على الغاية من فتح هذه الدار واطلع على اسماء الطلبة الذين سارعوا للانتماء اليها ،اجاب طلب صديقه ،ووافق على دخول هذه الدار ،ولما كانت الدراسة فيها ،كانت تجري على شكل دورات دراسية مدة كل دورة ثلاثة اشهر ،فقد اكمل الدورة ،وتخرج في الدار بتاريخ ١ – ٤ – ١٩١٨ واصبح اهلا للتعيين معلما في المدارس الابتدائية التي قامت الحكومة بفتحها في بغداد انذاك !

في سلك التعليم : وكان اول تعيينه معلما في مدرسة راس القرية ثم ما لبث الا فترة قصيرة ،حتى عين مديرا لمدرسة الباروديه الابتدائية ،ثم اخذ بعد ذاك وعلى مرور الزمن ينتقل من مدرسة الى اخرى ،ولما فتحت مدرسة دار المعلمين العالية – والدراسة فيها مسائية – كان من طلبتها ،وبعد سنين تخرج فيها ،فنقل الى سلك التعليم الثانوي . وفي يوم ١ – ١٠ – ١٩٣٦ اصبح مديرا لمدرسة الشرقية المتوسطة وبقي في عمله هذا حتى سنة ١٩٣٨ حين نقل لمنصب مميز المطبوعات العربية في مديرية الدعاية العامة ،لكنه بتاريخ ٣١ – ٣ – ١٩٣٩ عاد من جديد الى عمله في وزارة المعارف ،ثم في يوم ٩ – ٨ – ١٩٤١ نقل ثانية الى مديرية الدعاية العامة لاشغال المنصب السابق وبقي فيه حتى يوم ٧ – ١٠ – ١٩٤٦ .

العودة الى وزاة المعارف : وفي يوم ٨ – ١٠ – ١٩٤٦ عين مدرسا على الملاك الثانوي ،وانتدب في الوقت نفسه للقيام بمهمة التفتيش ،وفي يوم ٢٤ – ٣ – ١٩٥٤ صدرت الادارة الملكية بتعيينه مفتشا اختصاصيا في وزارة المعارف لتفتيش اللغة العربية في المداس المتوسطة والثانوية ،وقد ظل في منصبه هذا حتى احيل على التقاعد بتاريخ ١ – ٧ – ١٩٦٢.

بين الدراسة والتأليف : وبعد ان ترك العمل في خدمة الدولة ،خلد الى الراحة والاستقرار وتفرغ للدراسة والتأليف ،وتسنى له خلال هذه الفترة من حياته ،اصدار مجموعته الشعرية التي كان قد اختار مادتها من عيون الشعر العربي ،اصدرتها له وزارة الثقافة والاعلام باسم « عيون الشعر » في سنة ١٩٦٦ . كما اصدر في سنة ١٩٦٨ ،ديوانه الذي اسماه بـ « اللهفات » نشر فيه كثيرا من شعره وبعض المقالات والمقامات التي كتبها في شتى المناسبات.

آخر الصفحات : وهكذا ظل رحمه الله ،مستمرا في نشاطه الفكري والادبي ،حتى توفاه الله بالسكتة القلبية مساء يوم ١٦ – ١٢ – ١٩٧٢ وله من العمر (٨٠) عاما.

القشطيني الشاعر : لقد احب محمد ناجي القشطيني الادب ومال الى الشعر منذ صباه ،وقال ان السبب في ذلك يعود الى تشجيع والده وتدريب خاله الشيخ عباس رحمه الله . فقد حدثنا عن ذلك قائلا(٢): «كان والدي اثابه الله، يلقنني منتخبات في مديح سيد الكائنات ،ويخصص لي ، عن كل بيت احفظه مبلغا من المال ،علاوة على (بوميتي). ولما سلكت مسلك طلبة العلوم ،كنت اعتز بحفظي لتلك

(٢) المصدر السابق

القصائد ، واباهي بها امثالي من الطلاب ، ومذ علم ذلك معلمي الاول (خالي) أخذ يصغي الي محبذا ،وقدمني على ابناء صفي ، واعلن تفاؤله بمستقبلي !»

وان من يطالع ديوانه « اللهفات » يجد له فيه ، قصيدة نشرها في جريدة « صدى الاسلام » البغدادية ، يوم ٥ — ٣ — ١٩١٥ ،وهي القصيدة التي يرثي بهاالفريق محمد فاضل باشا الداغستاني.

اللهفة الاخيرة : ومن مطالعة هذا الديوان ،نجد هذا الشاعر توقف عن نظم الشعر ،بعيد نكبة حزيران ١٩٦٧ ،اذ كان آخر ما نظمه هو « اللهفة الاخيرة » ،وعنها يقول « ولقد اذهلتني النكبة العظيمة ، نكبة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ،فلم اعد اعرف ما اقول فقررت هجر الشعر ،كما هجره من قبلي ،الشاعر المعروف الابيوردي الاموي حيث قال :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة   باب الدواعي والبواعث مغلق

ولا بد من تسجيل أسفي ،لهجري هذا الفن الجميل الذي أحببته منذ نشأتي »

اما هذه القصيدة فهي قوله :

أتبكي ام تعدو ام تنوح   فهل يطفي اللظى دمك النضوح
ولو انشدت قومك الف بيت   وبيتا هل ستندمل الجروح
لماذا تستغيث ولا مغيث   أتسمعك الروابي والسفوح
فخل الشعر ينظمه غوي   براوده الغبوق او الصبوح

ثم قال فيها :

فقلت للائمي اعلى اكتفائي   بروح الشعر تعجب يا سموح
أكل الشعر روح للمعاني   تطيب له لدى الانشاد روح
ولم أمقت من الشعراء الا   عصيا لا يفور ولا يفوح
ساجنح لتسامي واتغاضي   وكن هل سيرضيك الجنوح

ثم قال :

مؤامرة عرفناها قديما   وقد كتبت لمغزاها شروح
فكم سفكت لامتنا دماء   وكم هدمت لموطنها صروح
وليس لنا اذا رمنا حياة   يحيها التامل والطموح
سوى صبر يؤزره جهاد   ويغسل عاره دمنا النضوح

ان ديوان « اللهفات » الذي أصدره الشاعر في سنة ١٩٦٨ ،يعبر أصدق تعبير عن صاحبه ،فهو يمثله تمثيلا صادقا ،يمثله في ثورته وهدوئه ،في حبه وبغضه في لينه وصلابته في عقله وعاطفته ،ولذلك نقول ان من يقرأ هذا الديوان ،يعرف حقيقة صاحبه ويقف على مواقفه المختلفة في شتى الظروف والوقائع والاحداث.

نماذج من شعره : ونقدم الى القارىء نماذج من شعره وفق ما يلي.

في عانة !!

نظمها في يوم ٢٥ — ٣ — ١٩١٧

مصائب دهر كالعدو خؤون   توالت على رأسي فمز سكوني
وهمت على وجهي احاول مهربا   من الدهر استخفي لبعض شؤوني
وألفيت نفسي بين هيت وعانة   فخابت بمرأى القريتين ظنوني
خرائب ضمت كل غرثان شاحب   تجرعه الايام كأس منون

وقال :

عفا الله عني كيف غادرت منزلي   وتابعت من لا يغضبون لهون
ومالي وما للجيش اركض خلفه   كاني مصاب مثله بجنون

وقال يصف ناعورة :

وناعورة بالقرب مني كانها   بها مثل ما بي من اذى وشجون
اقامت على الجرف الكئيب مناحة   وجادت بدمع كالسحاب هتون
تدور على مر الزمان حزينة   وكم هيجت نيران كل حزين
وقفت وقوف المستهام بقربها   اخففت عن نفسي حسيس انيني
ولكنها زادت هيامي ولوعتي   لاهلي واستشرى عذاب حنيني
ففارقتها ابكي وانحب مثقلا   باعباء هم في الفؤاد دفين
وأزمعت ترحالا لبغداد تاركا   حياتي للرحمن خير معين

اين الحليف

نظمها سنة ١٩٢٠

حتام دمعك ينسفح   والى م سرك ينفضح
اضحى يراقبك الشقا   ء فما برحت وما برح
وعدا عليك بكل ما   يهوى تعسفه يلح

وطني وحقك لو ابا   ح دمي فاني لم ابح
فلانصحنك ما حييت   عساك يوما تنتصح
وطني لقد نقشت ميدان   الحياة المنفسح
لم الق غيرك في الورى   ذا محنة الا منح

وقال فيها :

قد غرك البرق اللمو   ع فبات صدرك منشرح
وفرحت في تلك الوعو   د وخاب من فيها فرح
اين الحليف واين من   يصغي اليك فتقترح
قد خان عهدك ساخرا   لما بتجربته ربح
يا ايها العربي قم   واقدح زنادك ينقدح
وافتح طريقك بالظبا   فبغيرها لا ينفتح
وخذ الحقوق جميعها   او مت عزيزا واسترح

يوم البركان

القصيدة طويلة مطلعها :

شباب لهم من قوة العزم دافع   وشيب لهم من حكمة العقل شافع

وقال فيها :

تذكرت والذكرى تهيج لواعجي   وتوقظ في قلبي الاسى وهو هاجع
تذكرت في ارض (الرميثة) مصرعا   وفوق تراب الرافدين مصارع
تذكرت من ثاروا على الظلم ثورة   تزلزل منها جيشه وهو جازع
تذكرت (شعلانا) تذكرت(ضاريا)(٣)   تذكرت من للموت كان يسارع
الا في سبيل الله والمجد والعلى   دم حقه بين الفراتين ضائع

شكوى

فؤادي ايها الصحب   عليه اعلنت حرب
ومعلنها اخو صلف   لئيم مجرم خب

وقال فيها :

اذا ما عيل صبري والا   ماني دكها خطب
فمالي غير ان اخلو   ولي في خلوتي نحب
وارسل في سماء الـ   ـوهم فكري حيث لا حجب
اشاهد صورة الاو   طان لاستقلالها تصبو
أشاهد نهضة التمـ   ـليم مشمولا بها الشعب
اشاهد هذه الاشـ   ـبال مدهوشا بها الغرب
أشاهد هذه الابـ   ـطال مجلوا بها الكرب
اشاهد ذينك النهريـ   ـن عذبا منهما الشرب
فاصدح هازجا فرحا   هنيئا ايها العرب

يا قلم

أمن مصائب هذا الدهر يا قلم   أراك ترعش ام أودى بك الهرم
والدمع هل على الاوراق من الم   أم عادة لك هذا الدمع لا الم
صدى انينك اشجاني وارقني   وراعني اذ جرى من مقلتيك دم

---

(٣) يقصد الشيخ شعلان ابو الجون والشيخ ضاري المحمود من زعماء ثورة العشرين الوطنية .

اني عهدتـك لم تخش الخطوب ولم ... تسأم فمن اين هذا الخوفوالسأم
ما ان دعـوتـك مرتاعا لكارثـة ... الا ولبـى نـدائي الصـارم الخذم
ولا هززتـك عند الخطب منتصرا ... الا رأيت جيـوش الخطب تنهزم
حاشالاتحجم عن تسطيرما اقترفت ... يـد المظـالم في بغداد يـا قلـم

في مأتم الاحرار

نظمها بمناسبة ذكرى شهداء (٦ أيار) والقاها في جامع الحيدرخانه سنـة ١٩٣٠

تعال نبك على ما حل بالعـرب ... من المصائب بعـد الجد والتعب

وقال فيهـا :

يا من بذلتـم ببـوح الموت انفسكم ... لنيـل ما يرتجيـه العرب من ارب
وخضتم الحرب من اجل السلامفما ... كان السلام لسفير النهب والسلب
ان النهايـة كانت غير حاسمـة ... لم تترك الحرب غير الويل والحرب

وقـال :

ومصر لا تنطفـي نيـران محنتهـا ... مـا دامت الهند من حمالة الحطب
وذي فلسطين حيرى تستغيث فما ... يغيثهـا غير اوراق من الكتـب
امـا العراق فلا هم (لدولتـه) ... الا التنعم بالالقـاب والرتـب

وقـال :

حتـام يا قـوم والاحلام تخدعننا ... وكيف يخدع حرا زخرف الكذب
لا طيب للعيـش ما لم تستقل بكم ... مواطـن الضاد من حام ومنتـدب

تـاج الزهـاوي

انشدها في حفل تابين جميل صـدقي الزهاوي

صوغوا له التاج من ورد وريحـان ... ان لم تصوغـوه من دور وعقيان
وطرزوه بآي من قصـائـده ... فيـاضة بالمعـاني ذات الـوان

وقال مخاطبا الزهاوي:

قالوا تزندقت يا هذا فقلت لهم ... ان الزنـاديق اصحابي واخوانـي
هم يعلمـون عن الباري وقدرتـه ... مـا دق عن بعض افهام واذهـان
يـا قوم اني على الاديان مكتئب ... اذ اصبحت لعبـة في كف صبيان
حبائل وخرافـات تعيش بهـا ... عناكـب باسم انجيـل وقـرآن
ما انزل الله منهـا في رسالـه ... شيئا لعيسى ولا موسى بن عمران
ولا لاحمد فـخر الكـائنـات ولا ... دعا لها غـير دجـال وشيطـان
هـل يستوي من يرائي في عبادته ... ويدعيها بتزويـر وبهتـان
ومن يوحـد مولاه ويعبـده ... منـزها عـن تشابيـه واوثـان ؟

ثم قـال :

يا شاعرا كـان يشدو فوق ايكته ... كبلبـل يتغنـى بـين غربـان
فارقت روضـك لما لم تجد احدا ... يصغي الى الشعر في عقل ووجدان

وقال واصفا الزهاوي :

قد كان يدعو الى الاصلاح في زمن ... طغى به الجهل فينـا اي طغيـان
وكان اول بـاك في مـواقفـه ... على رسوم محاها الجاهل الجاني
وكـان اول من نادى عـلى مـلا ... (لا القوم قومي ولا الاوطان اوطاني)
ان لم تقم في وجوه الظلم صارخة ... عصابـة الحق من قيـس وكهلان
سبعـون عامـا تقضت وهي حافلة ... بكـل شيء عظيـم القدر والشـان
ولم يجـد في حياة كلها نصـب ... من الورى غـير تبعيد وحرمـان
وطالمـا بات يشكو من تلامـذة ... هجرا بهجر ونسيانا بنسيـان

وقـال :

اقول والشعـر يفريني ويدفعني ... لـمـا يهيـج الامـي واحـزاني
مـاذا تريدون في تكريـم صورته ... وهـل يبل سراب قلـب ظمآن
ان الاكاليل لا تغني بزخرفهـا ... من عاش ما بين احقاد واضغان

فقد امير الشعـراء

القاها في الحفلة التابينية التي اقامتها جمعيةالشبان المسلمينسنة ١٩٣٢

ويـلاه من الم الوقـوف ... بمـآتم الوطـن الضعيـف
يـا قوم لـم اشهـد سـوى ... حزن على حزن رديـف

ثم قال فيهـا :

رفقـا بافئـدة الـورى ... يـا نـاشر النبـا المخيف

أيمـوت مـن احيـا الشعـ ... ـر بشعـره الحي الطريـف
أيمـوت شـاعر امة القـر ... آن والديـن الحنيـف
أيمـوت رائدهـا ومنقـذ ... هـا من النقـد العصيف
لهفي على ورد الـر ... بيع يموت من عصف الخريف

يـا من ترصـع تـاجـه ... ببـدائع الراي الحصيف
يـا من تزين عرشـه ... بروائـع النظم الرصيف
أيعـود موكبك الجميـل ... يطـوف انحـاء المصيف
بصحابـة لـم تدر غير لذاذة ... العيش النظيـف
يـا بلبـلا ملأ الفضـاء بصوته ... العـذب اللطيف
اين ابـن هـاني مـن كـرومـك ... وهـي دانية القطوف
تشدو وتصدح فوقهـا ... فرحا بأنغـام الحـروف
يـا نيـرا جادت بـه مصر لتمزيـق ... السجـوف
فاضـاء يسطـع كاشفـا لظـلام ... عزلتهـا المخيف
يـا فارسـا اقـلامـه ... أغنتـه عن حمل السيوف
ما ضاق رحبك يـا مليـك الشعر ... يومـا بالضيوف
مـاذا اصابـك بعد ذلـك ... فانسحبت من الصفـوف

وبعد : فهذا هو المرحوم محمد ناجي القشطيني ، وتلك هي نماذج من شعره ،نرجو أن نكون قد وضعناتحت يدي القارىء الكريم مادة قد يفيد منها دارسو الشعرفي العراق وهو حسبنا.

بغداد

عبد الرزاق الهلالي

اللعبة الخطرة

هو المال انى سار مفتاح قـدرة
يطـول بـه الحاوي على كل طائل
عقـاب على هام الملايين حـائم
يطيـح بها فتكـا بشتى الوسـائل
فيرفـع من بالخفض اولى وينثنـي
فينخفـض مرفوعا كريـم الشمائل
ويبرز روسـا من ذنابى ذليـلة
ويخفـى بغير الحق روس الحلاحـل
ويدفـع نحـو السبق اتنا هزيلـة
ويكبح ، من حقد ، جماح الاصائـل
ويجمع اوشابا على خبـث مقصـد
ويشعـب بالتفريـق شمل الافاضل
ويدنـي ويقصى ، دون ما اي منطق
يقـاس بحق فيه اس التفـاضل

البصرة ـ العراق ... سالم علوان الجلبي

عيد الام

نظم الشاعر هذه القصيدة لمناسبة عيد الام قبل ان يتم انتخاب والدته ـ مريم ابو زيد ـ « اما مثالية » عن منطقة جزين ، وقد اشرفت على المئة من عمرها ولا تزال تتمتع بالحيوية والنشاط وصحة العقل والجسم وصحة السمع والبصر بشكل مدهش .

احلى دعاء في الضمير وفي الفم   هذا الهتاف العذب: يا امي اسلمي
اليوم عيدك والقلوب اشعة   تهفو اليك بوهجها المتضرم
وتصوغ من بر البنين قصائدا   هي خير لحن بالوفاء منغم
والعمر عيد ـ ما نراك سعيدة   او تغضي ـ فالعمر جرعة علقم

يا كوكب الحب الذي انواره   تجلو الدجى عن كل قلب مظلم
دنيا الشقا تمسي نعيما ضاحكا   ان تمنحي الايام بعض تبسم
وتهب انسام الطهارة والرضى   ان مر اسمك في شفاه متمتم
وتضج احشاء الازاهر بالشذى   ان جال ذكرك في ضمير البرعم

فاليك يا بحر الحنان ـ تحية   كتبت على ورق الاضالع بالدم
واليك يا ام الانام ـ تجلة   تعزى لعرفان الجميل وتنتمي
انت الحياة ـ كريمة وعظيمة   انت المثال عن الجمال الاعظم
عيناك ـ برجا يقظة ورعاية   لحماية الدنيا من الشر العمي
ويداك ـ اجنحة السلام رفيفها   فيه لجرح الهم انجع مرهم
يهنيك عيدك ـ وهو عيد بلادنا   وجهادنا من اجل عيش اكرم
يا ام لبنان الحبيب تقبلي   منا شعائر طاعة وتفهم
فبنوك ـ ابرار به وبامهم   هل تنجب اللبوات غير الضيغم ؟

يا ربة « المئة السمان » تباركت   بغبارها الايام ، حولك ترتمي
افقرت نفسك ـ كي نعز ونفتني   وتعبت كي نرتاح دون تبرم
فاعفي عن الهفوات ـ انك رحمة   لم ينفتح عنها الوجود بارحم
جودي علينا بالرضى ترضي السما   ويسد بالدعوات باب جهنم
وترف اعلام السلام وتنطفي   نار الخصام وبالسعادة ننعم

الام في كل المواطن امة   يا سعد من في امه لم يذمم
الام اخت ـ زوجة وحبيبة   وطبيبة ، لشقائنا المستحكم
الراحة الكبرى على راحاتها   واللذة القصوى بلفظة «مريم»
الام قلب الكون ، منبع عزه   والقلب ان يحكم بنا ـ لا يظلم
فالقلب صنو العقل ـ من جاراهما   عن كل عيب في النعائل يعصم

يا امنا المعطاء حيتك العلى   وحيتك عمرا زاخرا بالانعم
دومي لنا اما مجنحة المنى   ونشيد حب في الضمير وفي الفم

سليمان ابو زيد



الدكتور محمد رجب البيومي

كوكب الشرق

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

* * *

احفظ كثيرا مما قاله كبار الشعراء في كوكب الشرق ام كلثوم كالعقاد ومحمد عبد المطلب ورامي وعزيز اباظة ، ولكن البيت الذي اردده دائما حين يخطر حديثها هو قول شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي:

يا ام كلثوم انا امة رزحت   تحت المصائب اجيالا فسلينا

لانه بيت صادق طبيعي ،ينطق عن خاطر كل عربي ، وكنت اتمنى ان استطيع وصفا ادبيا لاغاريد كوكب الشرق ولكن مثل هذه المهمة المعجزة تحتاج الى نابغ كبير كعبد العزيز البشري ليقول فيها ما قاله في عبد الحمولي وسيد درويش وسلامة حجازي واحمد ندا ، اما انا فماذا اقول ! على ان لدي مع ذلك ما استطيع ان اقوله عن مروءة ام كلثوم لا عن صوتها الخلوب ،وقد اعتدت منذ رحلت زوجتي الحبيبة الى عالم الصفاء الا اتعب نفسي في بحوث مركزة تستعين بالمراجع وتفيض بالتحليل ،فان ما يستلزم ذلك من الهدوء المتمهل والنظر المتأمل يعز على مثلي في مصابه ،انما اكتفي بذكريات عابرة انقلها عن نفسي دون تنميق ،وحديث كوكب الشرق من هذا القبيل.

كنت في الخمسينات ارتبط بصداقة جماعة من ادباء الزقازيق ، عاصمة محافظة الشرقية ، فكنت اتردد عليهم بين الفينة والفينة فنقضي ليلة الجمعة في سمر ادبي سياسي ،ثم اغادرهم مساء الجمعة الى مقر العمل ،وفي بعض هذه الامسيات العزيزة ، انشدنا صديقنا العزيز ، المرحوم توفيق العوضي اباظة ،وهو شاعر فلاح ،علم نفسه بنفسه ،حتى ارتفع له بين الادباء ذكر ،اجتذب قلم المغفور له الاستاذ ابراهيم دسوقي اباظة الوزير السابق فكتب عنه مقالا جيدا بمجلة الهلال مستشهدا ببعض روائعه ، واذكر من بينها قول الشاعر :

الفاس قد اكلت يدي وانا امرؤ   للطرس لا للفاس قد خلقت يدي

اقول في بعض هذه الامسيات العزيزة انشدنا توفيق العوضي رحمه الله قوله في السيدة العظيمة ام كلثوم رحمها الله :

غنيتنا ولد الهدى   فبلغت بالطرب المدى
صوت له الدنيا مدى   والكون اجمع منتدى
نفسي فداؤك ام كلثو   م وان جل الفدا
لولا غناؤك بيننا   ضاعت ليالينا سدى

واذكر اني عاتبته فقلت له : كان ينبغي ان تقول :

نفسي فداؤك ام كلثو   م وان قل الفدا

فابتسم وقال : افدها انت يا اخي ،ليجل الفداء ، ونخرج من الاشكال ،! وكان معنا حينئذ شيخ وقور ،هو والد احد الاصدقاء الذين نتردد على منازلهم على التعاقب حين نجتمع ،وكنا نحتشمه فلا نتمادى في النقد والتعليق اجلالا لسنه ،ولمركزه الديني ،اذ هو خطيب احد المساجد الكبيرة ،وله تلاميذ ومديرون ، ففاجأنا الشيخ بقوله : ان همزية شوقي رائعة ،وانه عارضها بهمزية اخرى مطلعها كما اذكر :

ولد الهدى واتت به البشراء   وتفردت بمديحه الورقاء

ثم انطلق يسرد على هذا المنوال ابياتا لا هي بالجيدة ولا هي بالرديئة جدا ،انما هي الى الرداءة اقرب فحسب، وقد اقتضى وجودنا في ندوة نجله ان نجامله بالتقريظ المعتدل ،ولكن احد الخبثاء قد اصطنع البراءة وسأل في ادب :

ــ لماذا يا سيدي لا ترسل قصيدتك الى ام كلثوم كي تغنيها كما غنت همزية أمير الشعراء ؟

وقبل ان يجيب الشيخ ،قال خبيث آخر ،ان العامة في الشوارع والحوانيت يحفظون ما مدح به الرسول مما غنته ام كلثوم ،وانا اعرف (حلاقا) لا يقرا ولا يكتب ولكنه يتغنى بقول شوقي في همزيته الرائعة :

واذا سخوت بلغت بالجود المدى   وفعلت ما لا تفعل الانواء
واذا اخذت العهد او اعطيته   فجميع عهدك ذمة ووفاء
واذا عفوت فقادرا ومقدرا   لا يستهين بعفوك الجهلاء

فالشيخ اذا اهدى قصيدته لام كلثوم سيجذب الناس الى سيرة رسول الله ،ثم جرى الحديث في هذا المعنى ، وقد ضاق ابن الشيخ حين وجد والده فريسة مؤامرة تصطنع البراءة ، فأخذ يقاطع ويشفه ،ولكنه فوجىء بوالده يقول :

وكيف أبعث بالقصيدة الى ام كلثوم ؟

فاسرع احدنا ــ وهو محام شاب ــ يقول : احضرها

الي وسأتولى ارسالها بنفسي ، وربما تحوز القبول !

مضت الليلة ، وذهب كل لشأنه ، ثم حانت ساعة السفر في أصيل الغد ،فجاء من يودعني ،وكان من المفاجأة ان يسر لي المحامي الماكر ،ان الشيخ قد كتب القصيدة وارسلها اليه. وانه ستصرف .

سألت في دهشة : وكيف ؟قال :ساكتبلك بمايكون.

انصرمت اعوام واعوام للقاء الاصدقاء بعد ان طالبي المعهد ،فكان صديقي توفيق العوضي أول من التقيت بـه، وقد حدثني ان صديقنا (م) نجل الشيخ قد خاصم الجماعة وانقطع عن سمرهم الادبي لما صنعه المحامي بوالده الوقور :

سألت في تعجب : وماذا صنع ؟فقال صاحبي :

انت تعرف ان الشيخ الساذج قد كتب القصيدة واعطاها اياه ، وكنا نظن انه سيمزقها ثم يدعي انه ارسلها بالبريد ،وانها لم تحز قبول السيدة أم كلثوم فلم تشأ ان ترد ،وبذلك ينتهي الموضوع ،ولكن صاحبنا الماكر ،فكر وقدر ،ثم بدا له بعد عدة اسابيع ،ان يطبع أوراقا تحمل اسم ام كلثوم وعنوان منزلها في الزمالك ليتأكد من يراها انها صادرة عنها دون لبس ،وهكذا صنع بالظرف الخارجي وفوجيء الشيخ ذات صباح بخطاب يأتيه من القاهرة ، يحمل اسم السيدة في الخارج وفي الداخل ،وقد خط على الالة الكاتبة ، وبه كلمات رقيقة تنبيء بان السيدة قرات القصيدة ،وانها رحبت بغنائها ،وراتها في مستوى قصيدة شوقي او تزيد ،وانها تدعو الشيخ الوقور الى لقائها بحي الزمالك وقد حددت موضع المنزل ورقمه واسم الشارع، فاذا تكرم بالحضور فستتفق معه على الاجر ،والمحن وما يتبع ذلك من امور ،ولم يكن لدى الشيخ ريب في ان الخطاب من السيدة الكبيرة ،فالقاهرة مكان الصدور ،والاسم المطبوع يدعو الى الاطمئنان ،وقد فرح الشاعر بما تهيأ له من مجد ، فلا بد ان يسرع في الذهاب دون انتظار بل لو استطاع ان يطير لفعل كيلا يطول الامد قليلا اذا ركب القطار.

قال صاحبي :

ووصل الشيخ الى المنزل فأفهم الحارس ان السيدة قد كتبت تدعوه ،وان خطابا منها معه ،فأخذه منه وذهب الى السيدة ،ثم حضر ليصحبه الى انسانة نبيلة ،لقيته بكل احتفاء وتجلة ،وقد رات من وقار شيبه ،وحسن سمته ودلائل تقواه ، وسذاجة نظرته ، ما حملها على ان تبذل جهدها في تكريمه ،وقد فطنت بداهة الى ان الشيخ ضحية مؤامرة . فلم تشأ ان تزعجه بالحقيقة ،بل طلبت منه ان يقرأ القصيدة ،فتلاها في فرح ،اذ تأكد انها مقبولة ،وقد بت في امرها ، وارسل الخطاب للتوقيع النهائي ، وكانت القصيدة تحدث عن مولد الرسول وهجرته ،وغزواته، وفضائله بما يضم عناصر خطبة منبرية تقال في مسجد قروي يؤمه الصناع والفلاحون دون ان تزيد ، فرات السيدة ان يحدثها الشيخ عن سيرة الرسول ،وعما أراد من بعض الابيات ،فأشبع رغبته في الحديث عن تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم ، وافاض مستطردا الى حيث حلا لـه ان يقول ،والسيدة مع بعض الزائرات يصغين ، والرجل يتحدث في انشراح وبشر ،ثم حانت صلاة العصر فتهيأ للصلاة اماما يتقدم من في المنزل ،ثم شاءت ،السيدة ان تكرمه ،فسألته عن زوجته واولاده وبلده ثم امرت الحارس ان يحضر سلة ملأى بالفاكهة وطلبت سائق السيارة ان يصحب الشيخ من القاهرة الى الزقازيق ،وشاءت ان تطيب خاطره ،فقالت ان القصيدة تحتاج الى وقت طويل في التلحين ،وانها ستكتب اليه حين يحتاج الامر الى حضوره ولم تنس ان تقول له في ابتسام : خد بالك يا مولانا !! اولاد الحرام كتير !

جاء الشيخ والدنيا لا تسعه ،وقد اعلن كل ما قامت به أم كلثوم نحوه وطفق يتحدث عن مجلسها الطيب بمناسبة وغير مناسبة ،وكان اصدقاؤنا في دهشة مما يسمعون ، وقد ظنوا ان المحامي ارسل القصيدة ،ثم رات السيدة ان تجبر خاطر الشيخ فارسلت تدعوه ،وان الخطاب حقيقي من أم كلثوم لا سرية فيه ،وكيف يدور في ذهن عاقل ان رجل القانون القائم على حراسته قد زور الورق المطبوع والخط المكتوب والامضاء المنمق ،ثم سافر الى القاهرة او ارسل من يتجه الى احد مكاتب البريد ليبعث بالرسالة من هناك فيكون ذلك دليلا اكيدا على أن الخطاب حقيقي لا يتطرق اليه الشك لدى الشيخ ،بل ان بعض الزملاء منا اخذ ينتقل بالمسألة من المحيط الجزئي الى المحيط الكلي فيعجب من الاقدار اذ تحول الهزل في أمسية الى جد حقيقي يلمس باليد ،ويرى ان ابواب السماء قد فتحت في احدى ليالي رمضان وان الشيخ دعا وان الله قد استجاب.

ليت الامر قد وقف عند هذا الحد ،فيظل الشيخ ساكنا الى المستقبل ،ناعما بالحلم ،دون ان يزعجه تطور الاحداث !! لو كنت مكان المخرج المتسرع لاوقفت المسرحية الى هذا الحد ، وجعلت لقاء السيدة ام كلثوم فصلها الختامي ، ولكن الماكر يريدها مسرحية طويلة تتمثل في ساعات ،لا مشهدا يمثل في وقت قصير ،فقد انتظر قرابة ثلاثة اشهر ، ثم كتب خطابا على الورق المطبوع وقال فيما كتبه على لسان أم كلثوم : ان القصيدة قد لحنت فعلا ، وقد اعجب الاستاذ احمد رامي بشاعريتها الدافقة وقام الاستاذ رياض السنباطي بالتلحين ،وهما وأم كلثوم في انتظار الشيخ من الان بمنزل كوكب الشرق ليتم التعارف الفني ،وليكون هذا الاجتماع فاتحة عمل غنائي فخم يحدث نهضة فنية تكون موضع الحديث لدى الناس حين يترامى صداها على امواج الاثير.

ولم يكن الشيخ في حاجة الى من يستحثه على الاسراع فقد خف الى الزمالك في حالة نفسية تكاد تعيد اليـه خفة الشباب وزهو الصبا المراح ، وكان واثقا من موقفه كل الثقة ،فهو يعرف المنزل ،ويعرف سيدة الغناء بل انها تبذل كل عنايتها في الاحتفاء به ، وتجعله موضع المباهاة

رحيل العصافير

وحين اراك تــدب وحيــدا   تشق ازدحـام الطريق الطويل
ويمسي دبيب خطاك صدى   ويغدو التلاشي وجودا اصيـل
وتبقى معـابرنـا موحشـات   حجارتهـا تنشـد المستحيل
احس المرارة تسكن حلـقي   ويلسعني منك طعم الرحيـل

وحين يمـد صديقي خطاه   هناك على الضفـة الثانيـه
ويفصل بيني وبينه نهـر   وتزبـد امواهـه الصافيه
فنـهر اخـالف تيـاره   وآخـر يجـري باعماقيـه
وتمضي المراكب عكس المسار   وتصحـو نداءاتنـا الغافيـه

غـدا سوف نعبر هـذا الزحام   ويفلـت منـا احتمال اللقـاء
وابصـر عينيـك تقرع دمعـي   وتخلو من الطيـر هـذي السماء
لان رحيلـك مثل رحيـل   العصـافير حين يحل الشتاء
فلسـت احاذر الا تعـود   ستنبـت كل سمـاء ضيـاء

دمشق   سلافة العامري

لدى زائراتها والزائرين ،ولـن ينسى طعامها الهنـيء ، ومجلسها المؤنس واسراعها لصلاة العصر خلفه . ثم انه سيرجع مكرما مقدرا مع السائق في السيارة الخاصة من الزمالك الى الزقازيق !

وصل صاحبي الى المنزل ،وتقدم للحارس في اعتداد وثقة ، ولم يلحظ ابتسامة لها مغزى ترف على شفته حين صحبه الى داخل المنزل كطرفة جديدة ،وجاءت السيـدة لتقرأ الكتاب فيما يشبه الغضب ،ثم ترفع رأسها الـى السقف في حيرة ، وتسأل الشيخ في هدوء ساكن السطح متأزم الغور :

ـ مع من تجلس يا مولانا ؟

فرد الرجل دون ان يفطن الى ما تقصد :

اجلس مع جميع الناس ! فقالت في ضيق :

ـ لو كنت أعلم من كتب هذا الخطاب ،وزور الامضاء لرفعت الامر الى القضاء !

فدهش الشيخ ،واحمر وجهه حتى تساقط منه العرق وقال في تساؤل حائر :

اي تزوير يا سيدتي ؟انا لاافهم شيئا ،ونظر كالمأخوذ المرتـاع .

فأدركت السيدة الرحيمة ان الموقف اقـوى من ان يحتمله شيخ طيب في مثل سنه ،فمالت الى التراجـع سريعا وقالت في تؤدة :

ماذا اصنع ياسيدي !هم يقولون انمستوىالقصيدة عال جدا جدا لا يفهمه الجمهور ،وان الاستاذ رامي قـد مدح القصيدة ،وانا ايضا أمدحها ،وليس الامر لنا بـل للاذاعة !

فهدأ الرجل قليلا ،وسأل في حيرة : وماذاتصنعين؟

فقالت : اترك الموضوع لي وسأتصرف .

ثم طلبت منه ان ينشد القصيدة ،واخذت لرحمتها العاطفة تؤنسه بالسؤال والجواب ،وتناول طعام الغـداء لديها ثم صلى بها العصر ،وودعته بمثل ما ودعته به من قبل ،ثم دعت السائق ان يصحبه الىالزقازيق ،وقالتفي ملاطفة : اسمع يا سيدنا ،ان السائق يعرف منزلك وبلدك فاذا طلبتك فسأرسله شخصيا ليحضرك. فلا تصـدق الجوابات !!! الناس يا مولانا يزورون خطابات كثيرة وانا لن اطلبك الا بواسطة سائق السيارة !افهمت !

رجع الشيخ حائرا ،لا يدري حقيقة الموقف ،واخذ ينتظر السائق شهورا واعواما حتى جاءه الموت قبـل ان يجيء !

قال صاحبي : وقد انفرط العقد بعد ان خاصمنـا نجل الشيخ ،اذ حاول ان يستدرج المحامي ليعترف بمؤامرته المضحكة فبالغ في الانكار ! ولكن القصيدة صارت حديث الاصدقاء وموضع التندر بين العارفين.

قلت ،وماذا جذب انتباهك في هذه المفارقات :

فقال متحمسا : مروءة أم كلثوم ،حين تقبلت المسألة ببشاشة في المرة الاولى ، وبكظم نبيل في المرة الثانية !

ثم انقضت تلك السنون واهلها ، فكأنها وكأنهم احلام .

الرياض   محمد رجب البيومي



يقطن بقرية الفار — التي لا تبعد كثيرا عن مدينة السويس — نفر قليل ممن احترفوا مهنة الصيد ، وذلك بجانب عملهم — كأجراء — الذي يلجأون اليه عندما يشح محصول البحر ، او حينما يضيق عليهم الخناق خفر السواحل ... فقد كانوا لا يحملون رخصا للصيد ، لانهم لم يكونوا صيادين بالمعنى المفهوم ...

وكان قد ورث احدهم — ويدعى احمد الحاوي — عن عمه — شبكة صيد لا بأس بها ، وسلتين كبيرتين ، وشوكة من الحديد ذات افرع ثلاث ، تستخدم في الصيد كذلك ...

وفي يوم من ايام الشتاء اتفق احمد مع جاره شحات — وهو ضمن من احترفوا تلك المهنة — على الخروج للصيد ، حيث حل موسم السمك البوري السمين ...

وفي اصيل ذلك اليوم الذي بدا صحوا ، دافئا اخرج احمد الشبكة الضخمة ، ونشرها امام الدار ، وراح يرتق فتقا كبيرا ، كانت قد احدثته سمكة ضخمة عندما كان يصطاد مع رفاقه ذات ليلة ...

وفيما كان احمد منهمكا في رتق الشبكة ، خرج زميله شحات من داره ، وابتدره بقوله انه يخيل اليه ، وكأن السماء بصحوها،ودفئها تشاركه سروره ... فقد عاد من تجواله في ذلك اليوم ، وقد استطاع الحصول على عدة عقود لصفقات مربحة لسنوات خمس مقبلة ...

وعرف احمد منه انه اشترى نخيل الحاج حسين لعام واحد واشجار الفاكهة بانواعها التي يملكها محمد خضري لعدة سنوات ... ويتوقع ان تضرب معه السوق ... ولذا يطيب له ان يخرج — الليلة — الى البحر ، حيث ينال بعد ذلك وجبة شهية من السمك البوري.

واردف شحات بنشوة انه بذلك يستطيع شراء قارب صيد ينافس به رجب الصياد ... ثم تساءل ما اذا كان احمد متأكدا من الوقت الذي سيبزغ فيه القمر ، ام لا .. فتطلع الاخير الى السماء وهويطوي الشبكة ، ثم اجاب بانه لو لم يكن متأكدا من ذلك لما اعتزم الخروج الى البحر ... وما يعوقهما الان هوانهما في حاجة الى صياد ثالث ... ففكر شحات مليا ، ثم لمعت عيناه في خبث، وقال :

— انتظرني قليلا ، وسآتيك بمن لا يكلفنا شيئا .!.

وغاب عنه ، ثم قفل عائدا ، وقد لاحت عليه سيماء من يفكر في امر ما ... فظنه احمد انه لم يحصل على من يعاونهما ، لذا سأله في اسى لشدة احتياجه الى نقود للانفاق:

— الن نخرج الى البحر الليلة ..؟!



بقلم محمد حسين عبد المجيد

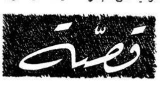
— اطمئن ... سيرافقنا الفيل..!

— حرام عليك يا شيخ ... انه مريض ... والبحر لا يرحم ...!

— والحاجة اشد قسوة من المرض يا حاوي...!

ولكن كل هذا لا يستحق الذكر بجانب ما حدث لهم في البحر في تلك الليلة الرهيبة ..

فقد خرج الصيادون الثلاثة في المساء ، ومعهم شبكتهم الضخمة وسلال ثلاث ... واجتازوا الطريق المؤدية الى البحر ، حيث سيلقون



الهول ... وكان شحات قد عقد العزم على انه سيكتفي بمنح الفيل وجبة من السمك له ولاولاده الصغار الذين خلفتهم له زوجه بعد غرقها في البحر ... وبهذا تكون القسمة — التي اعتزمها شحات — قسمة ضيزي ... وارتسم في خياله انه سينهض في الصباح هو وزميله احمد، ويقومان ببيع ما يصطادان — كعادتهما — بحي الاربعين، وكفور السويس، وذلك بعدما يباع القليل مما يحملان ، وهما يجتازان القرية التي يسكنانها . وهنالك سيعود رابحا ضعف ما لو كان سيقتسم المحصول بالعدل مع الفيل ...

وامسى الطقس شديد البرودة، والليل حالك الظلام ، وسحب داكنة تسرع صوب الشمال... بينما اجتاز الصيادون الخيران ، ليصلوا الى عمق اكثر ، حيث الجزر كان شديدا ... وكانت فرصة ... فخلع كل من احمد والفيل ثيابهما ، ووضعاها بجانب السلال على مرتفع يأخذ شكل الجزيرة عندما ينشط البحر.

واقترح شحات ان يمسك الفيل بطرف الشبكة ، ويخوض الماء ، بينما يثبت — هو — عصا الطرف الاخر بغرسها في الرمال ، ويظل ممسكا بها ، في الوقت الذي يتوغل فيه الفيل لمسافة تزيد على المائتي متر .. اما الحاوي، فقد اضطلع بتعويم قطع الفللين لتطفو على السطح ..

وغضب الاخير فيما بينه ، فقد كان متفقا مع شحات على ان يظل الفيل ممسكا بالطرف الثابت من الشبكة على اليابسة لئلا تؤذيه المياه لشدة برودتها ... ولاحظ شحات وجوم صاحبه ، ولكنه لم يعره اهتماما ... واكتفى بمخاطبته لنفسه بقوله :

— الا تراه يشق طريقه في الماء بقوة لاتملكها انت يا صحيح البدن..؟!

وكان ذلك حقا ... فقد احس الفيل باهميته وهو يضطلع بما هو

اهم ، واشق في عملية الصيد ... وظن انه بذلك سيجزل له العطاء لقاء ما سيبذل من جهد شاق ... ودار دورة كبيرة وهو يخوض الماء في الظلام ، ويغوص فيه حتى عنقه .. وكان التيار شديدا ... فناضل لئلا تفلت منه العصا الغليظة الى ان بلغ الشاطىء من جديد وهو يلهث من فرط ما بذل من جهد ..!

وتوائب السمك على الرمال ، فأضاء في الظلام ... واحس الفيل بالدفء يسري في كيانه ،فتوقفت اسنانه عن الاصطكاك ، وانقطع ما كان يتقاطر منه من بول ... وبجانب كل ذلك فقد شعر بالجوع ... ولاحساسه ذلك تاقت نفسه لو يستطيع ان يشوي سمكتين كبيرتين ويقدمهما ساخنتين ليسد بهما اولاده الاربعة رمقهم ، حيث تركهم يتلمسون الدفء في حجرتهم الصغيرة ، وقد باتوا على الطوى ..!

وهتف الحاوي قائلا :

ــ طول عمرك قدم خير يا فيل ..

ودفع اصابعه ــ بلهفة ــ فيالظلام البارد ، ليمسك بالسمك المتوائب..

واحس شحات بالزهو لانه يشعر في قرارة نفسه انه ليس في حاجة الى الدرجة التي زميلاه عليها .. وما جاء به الى البحر اكثر من اي شيء ، هو محاولته تشرب الصنعة ليمكنه ان يبز غيره من الصيادين .

وظلوا يجدفون ، ويطوون الشبكة، ويفردونها الى ان ملأوا سلتين ، احسوا بعدئذ بالتعب ، فاسر الفيل في اذن احمد قائلا :

ــ الم تأت بطعام معك ..؟ اني جائع ..!

فناوله احمد قطعة من الخبز ،راح يلوكها في صمت ...!

وهتف احمد انه حسبهم ما اصطادوه ، لانه بدأ يحس بالرهبة .!

وكان القمر قد بزغ من ناحية الشرق ... ولكنه لم يظهر واضحا ... فقد تجمعت السحب ،وتراكمت في السماء ، لذا فقد اوهم شحات زميليه الغارقين في المياه حتى عنقيهما ان ذلك الضوء المتذبذب ما هو الا ضوء احدى السفن التي تمخر عباب القناة ، والضباب يغلفها ... ولم يفعل ذلك الا لشيء في نفسه .. فقد كان شرها .. ومع انه احس بالمد المخيف يزحف في صمت ، ومياه البحر آخذة في الارتفاع الا انه جعل يحض زميليه على مواصلة الجهد ، ليتسنى لهم ملء السلة الثالثة ... وانه باستطاعتهم ان يبيتوا على قمة المرتفع اذا ما حاصرتهم المياه ... وهو يجهل



محمد حسين عبد المجيد

●

ان المد في استطاعته ان يغمر هذا المرتفع الصغير ..!

وكان كلما خرج الصيادانالاخران من الماء ، وجدا ان السلال بمنأى عن البلل ، مما جعل احمد يرتاب في الامر ... وشعر بالحنق على ذلك الشره ... اما الفيل فقد آثر الصمت خوفا من ان يغدر به شحات، ولا يعطيه شيئا بعد ذلك الجهد الشاق ..

وزحفت المياه ، ونشط البحر .. وعلا الزبد المخيف سطح المياه السوداء ... وامتلأت السلة الثالثة ... وعندئذ صرخ احمد في شحات قائلا :

ــ لقد خدعتنا بطمعك ..وخدعت نفسك ايضا .. ما العمل الان ..!؟

وازدادت المياه ، وزحفت من حولهم كحيات هائلة .. ورقعة اليابسة تضيق بارتفاع المياه ..وثمة ريح مخيفة بدأت تهب ، وكأنها دفع المد الرهيب الى الاطراد لزيادة بسرعة مذهلة ... وبدأ طر في الانهمار بعد ما تجمعت سحب القائمة في سماء البحر المتلاطم ... فحمل الصيادون سلالهم المليئة بالسمك ، وحاولوا اجتياز البحر الطامي الذي بات كتلة سوداء فاحمة لا حدود لها ... ولكنهم لم يعرفوا الى اي اتجاه يسيرون ... فاخذوا في التخبط والغوص في اعماق اليم .. غير انهم ما لبثوا ان ارتدوا مذعورين امام البحر الهائج ... ولكن الى اين ... !؟ فقد اختفت آخر قطعة في اليابسة ... فخروا على ركبهم مرتعدين ... واشتد المطر من فوقهم ... وعوت الريح من حولهم فاحسوا وكأنها تدفع بهم الى ما هو اعمق من مكانهم .. وتقاذفتهمالامواج بعنفها ...!

وبعد جهود مضنية لمحاولة الصيادين الفاشلة في اجتيازالخيران ــ التى تلاشت معالمها وغرقت معها العلامات الحديدية الى عمق يتجاوز قامة الانسان مرتين ــ انكمشوا في استسلام وهم يرتعدون من فرط الخوف والبرد الشديد .. وقد سرت في اجسادهم قشعريرة الموت، حيث اخذ البحر يطبق عليهم بامواجه المعتمة .. وغمرت المياه السلال .. فنشطت الاسماك ،ودبت فيها الحياة ، واخذت تتوائب الى البحر من جديد ..

ودب الاعياء في اجسام الصيادين المقرورين ، واشتدت لطمات الموج لهم ، وهم يحاولون التشبث

بالصخور الزلقة تحت اقدامهم ، وقد اخذوا في الهذيان .. فتهدج صوت شحات قائلا :

ـ افلا يوجد من ينقذنا ..؟اكتب علي ان اموت غرقا ، وانا ما زلت شابا ، ولم انعم بثروتي بعد ..!؟ اسمع يا فيل .. انت اطول مني قامة ، وسأمنحك نصيبي من السمك اذا ما انقذتني ..!

لكن لم يجب الفيل ... فقد كان مقرورا ... واشتد عليه المرض، والجمه الخوف .. فذهب الظن بشحات ان صمت الفيل يدل على انه كان يفكر في تلك الحادثة التي ناله فيها شحات بالاذى من اجل حفنة من البلح كان قد لمها من تحت احدى النخلات التابعة له .. بيد ان الفيل لم يكن يفكر في شيء البتة ،بل كان صافي الذهن الى حد بعيد .. على حين اضاف شحات ، وقد نهض واقفا وسط الماء يطلب من الفيل ان يحمله على عاتقه ويجتاز به البحر .. وهتف في اغراء ظن انه سيسيل له لعاب الفيل :

ـ اقلع ايها الرجل عن هذا البله، وتيقظ .. استمع الى ما اقول ، ولا تكن مغفلا ... سأجزل لك العطاء اذا ما انقذتني ... سأمنحك عشرة جنيهات .. ورقة صحيحة بجانب نصيبي من السمك .. ماذا قلت .؟

وظل الفيل على صمته ، والامواج تتقاذفه ... فانزعج شحات ،وصرخ فيه برعونة ، ليحمله على الانصياع ... ثم اردف بحدة :

ـ احملني الى البر ، وسأمنحك ما تطلبه ...

وصمت لهزيم الريح ، وبرق السماء ، ورعدها ... بينما اعقب احمد ، وهو يضرب الماء بذراعيه ليحفظ توازنه :

ـ الا تخشى ان يلقي بك في اعماق اليم بعد ان يسير بك عدة خطوات يا شحات ..

ـ ماذا ..!؟ اينتقم مني ..!؟ولكن سأعطيه من المال ما يكفيه هو ، واولاده ..

وطغت رائحة البحر ، واتت الرياح العاصفة بموجة عالية خالها الصيادون كما لو كانت الجدران الشاهقة تنقض عليهم ، فأتوا بصرخة رهيبة ، بينما حملتهم الموجة بين طياتها ، ثم لفظتهم بعيدا حيث لا يجدون ما ترسوا عليهم اقدامهم ... فغاصوا في اعماق البحر ، وهم يصيحون ـ في هلع ـ صيحات الغرقى ، ويناضلون ،وهم يتخبطون في عشوائية المستيئسين ... بينما يمتص ضباب الليل ، وصخب البحر ، وامواجه صرخاتهم المبحوحة .

وناضل الفيل ، فطفى على سطح الماء ، وحاول السباحة .. ولكنه لم يجد القوة التي تمكنه من ذلك ... واتت موجة عاتية ، دفعته دفعة لا يدري الى اي اتجاه .. ولكنه احس باطراف اصابع قدميه تنفرس في نتوء صخري ، فتحمل الالم ، واشرأب براسه .. ومسه الذعر حينما شعر بما يلتف حول ساقيه ... شيء خشن الملمس ، اقشعر له بدنه ... بيد انه سرعان ما ادرك ان ذلك ما هو الا حشيشة عاتية ، فتشبث الثلاثة ببعضهم .. فقد قذفت اليه بجسدي زميليه موجة عاتية ، فتشبث الثلاثة ببعضهم .. وشعر الفيل بما يداعب انفه ، فحملق في الظلام ، ثم قبض عليه ، واعتصره بقوة .. ولم يكن ذلك غير قطعة طافية من الفللين ، بواسطتها اهتدت اصابعه المرتعشة الى طرف من الشبكة التي امتدت مع الموج ... وصاح بزميليه ليتشبثوا معه بالشبكة ... وعلى هداها استطاعوا العودة الى مكانهم ..!

وكان الفيل حصيفا اذ انه لم يفته تثبيت دعامتي الشبكة في بداية الامر ... وجثوا يلتقطون انفاسهم ، والموج يلطمهم بلا رحمة ... على ان الفيل ما لبث ان استوى واقفا ، ورفع وجهه الى السماء ، والريح الصرصر تزمجر من حوله ... وراح يرسل صيحات غريق يشرف على الموت ... ثم عاد ليجثو في الماء..

وركن الثلاثة الى الصمت ..على ان الفيل كان يشخص في الظلام ، والمياه المزبدة تغطيه الى ذقنه ... وفيما هو على هذه الحال صرخ محذرا ليشد الثلاثة على سواعد بعضهم البعض استعدادا لاستقبال موجة اشبه بالطود الاشم ، لها اهداب مضيئة تعلو قمتها .. !

وغاصوا اسفل الماء ، وانحنوا للموجة ، فتنكبتهم بثقلها الهائل ، ثم تخطتهم ، وهي تجر اذيالها التي سحبت المياه وراءها ، فكشفت بذلك عن الصخور ، واجساد ثلاثة يتوسطها شاهد ... فاحس الرجال بالريح تلذعهم ، فنهضوا ، وهم يلتقطون انفاسهم ، ويشيعون ظهر الموجة المنزلقة بنظرة من لم تنله فكي وحشي رهيب ... وما لبثت المياه ان اطبقت عليهم من جديد ،وشعروا بما يجثم عليهم بثقله المخيف ... فحملقت ستة عيون فزعة ،وتركزت كلها على ذلك الجسم الاسود الزلق، الذي ابى ان يتزحزح عنهم قيد انملة .. فدفع الفيل بيده الى ذلك الجسم الضخم العنيد ، وراح يتلمسه ليدرك منه موضعا حساسا ، بينما يده اليمنى تتهيأ بمدية حادة ليدفعها في مقتل ذلك الذي ظنوه وحشا ، او حوتا رمت به الامواج اليهم .. على ان الفيل ما لبث ان صاح قائلا :

ـ انه .. انه قارب رجب الصياد، حملت حطامه الامواج الى هنا ..

ولاول مرة يشعر شحات بالاسى من اجل رجب الصياد ، الذي تحطم قاربه ..

واحس الصيادون الثلاثة بالمياه ، وهي تنحسر عنهم رويدا ، بينما اخذ القارب في الهبوط بجانبهم .

واشتد هذيان شحات ..

بينما خفت حدة الريح ...

الشاطئ المهجور

كانت الارض واحة وربيعا يستظل الواني بها من عنائه
والعصافير زقزقات حنين هاجها الحب فارتقت في سمائه
والمنى رقصة العذارى وفجر راقص الخطو ضاحك في ندائه
والفراشات رعشة واستباق للمغاني والصبح نشوان تائه
والرمال التي ترامت بعيدا غسل البحر راحتيها بمائه
والطيور التي دعاها مساء عادها الشوق للضحى وبهائه
وحفيف المجداف ينساب لحنا عبقريا في سحره وصفائه
والشراع الهيمان رفة قلب يرقص الموج نشوة من غنائه
وحديث الامواج همسة شوق والتياع يستاف عطر روائه
واستفاق الغراب ينعي ربيعا لم يمتع في صبحه ومسائه
ومشت رعشة الخريف بقلب لم يمتع في صيفه وشتائه
فاذا الشاطىء الذي كان سحرا للعذارى يقتات ذكرى هنائه
واذا الجنة التي طفت فيها حلم فجر ينهار من عليائه
وي كاني ما كنت بلبل روض اسكرته الانام من اندائه
صحت والشاطئ الحزين ارتعاش والدجى يحضن الدنى بردائه
اين سلوى؟ راحت وكانت شعاعا طاف بالروح فانتشت من سنائه
اين ليلى؟ راحت وكانت عبيرا أيقظ الليل من دجى ظلمائه
أين سلمى؟ راحت واين الاماسي؟ صوح الروض وارتمى في شقائه
يا لقلب اضناه حب وشوق يا لقلب يقتات من برحائه
ما تغنى الا ليورق حب حصدته الايام قبل ارتوائه

جامعة الكويت — أحمد مطلوب

وتمزقت السحب ، وتفرقت ، واخذت تمور في الفضاء الداكن ... وكف المطر عن الهميان ... وسقط ضوء الفجر الشاحب على صفحة المياه المزبدة ، والوجوه المتعبة الشاحبة .

واستقر حطام القارب على ذوائب الصخور ... بينما اخذت رقعة اليابسة في الاتساع ... والسلال الثلاث ما برحت كما هي ، حيث ثبتها الفيل بان وضع على كل منها حجرا كبيرا في اول الليل ...

وبدات الخيران تأخذ شكلها الطبيعي، والجزر يسحب المياه في تياره ...

ولاحت اشجار النخيل من بعيد ، والشاطىء يرسخ تحت اقدامها ..

فسحب الصيادون ثيابهم من تحت الاحجار ، واعتصروها ، ثم حمل الفيل شحات الذي اصبح يهذي من شدة الحمى ..

وعلق في كتفه — بجانب ذلك — سلة مملوءة بالسمك ... بينماحمل الصياد الثالث الشبكة المزقة والسلتين الاخريين، واجتاز الصيادون الخيران الى الشاطىء وهم اكثر ارتباطا من اي وقت مضى ..

القاهرة — محمد حسين عبد المجيد



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

خيوطه كلها الى سنة ١٩٢٢

بقلم عجاج نويهض

* * *

لما انتهت التجربة العربية المرة في دمشق سنة ١٩٢٠ بدخول الجنرال غورو عاصمة بني امية، كما دخل الجنرال اللنبي القدس في ٩ ــ ١٢ ــ ١٩١٧ وكلاهمادخل فاتحا وقال كلمة كان اولى به الا يقولها ، كانت النتائج التي تجرعتها الامة العربية الاسيوية ، في تلك السنة بعد « يوم ميسلون » المليء بالمتناقضات ، تصور ما يلي :

ــ خيبة عربية عميقة كاوية بعد نضال ١٢ سنة منذ ١٩٠٨ ونصف تلك المدة كان في عهد الاتراك الطورانيين، وفيه كان النضال سليما ، ثم النصف الثاني امتدادا من ١٩١٤ ــ ١٩٢٠ واغلبه مثلته ثورة الحسين بن علي ، اذا اعتبرناها من حيث الروح والغاية الى سنة ١٩١٨ ثورة التجربة الاولى ولها نتائجها المعلومة ، فلما وقعت الخيبة سنة ١٩٢٠ كانت خيبة قومية حتى الاعماق . وقلت الامة العربية الاسيوية ، اذ اعني ان وقتها كان الاستعمار البريطاني في مصر والسودان ، والايطالي في ليبيا ، والفرنسي في الشمال الافريقي ، يفصل بين شطري الامة العربية آسيويا وافريقيا شطرا تاما ، الا ما يتعلق بمصر فانها ما برحت بالقوادم والخوافي من اجنحتها ترف على بلاد العروبة كلها ، حمى الله ارض الكنانة في جميع مراحل التاريخ.

ــ والشبه شديد جدا ، للذكرى المؤلمة والاعتبار الصامت الحي على الاقل ، بين « المغازل » التي تلاقت في معركة ميسلون ١٩٢٠ المنتهية بالهزيمة المتوقعة والمليئة بالمتناقضات المذهلة ، وبين « المغازل » التي قامت بادوارها باخبث تكتيك في « رواية » الجيوش العربية سنة ١٩٤٨ وقد شهدنا كل ذلك عن كثب ، ظاهره وخفيه، فكانت فلسطين الغالية ميسلون الثانية في تاريخ العرب الحديث . وكان تلك « المغازل » لم يتغير من جوهرها شيء في مدة ٢٨ سنة .

ــ كان العدو السياسي السافر للعرب من ١٩٠٨ الى ١٩١٤ هو التيار الطوراني ، ودخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا آخر ١٩١٤ فلما هزم الحلفاء المانيا في خريف ١٩١٨ انهزم معها المخطط الطوراني، اصلا وجزءا، وامست تركيا متقلصة الرقعة محصورة في الاناضول ، واستدار العرب على انفسهم فاذا بالطورانية قد اضمحلت كأنها كانت سحابة صيف ، واذا بالصهيونية العالمية مخيمة فوق فلسطين بريش القنافذ والسلاح البريطاني . كل ذلك بين ليلة وضحاها . واذا بهذا المخطط الصهيوني يضع الامة العربية جمعاء ، في مواجهة مصيرية لم تستفق الامة العربية على خطورته ، الا بعد ١٩٤٨. ان دراسة التأخر الذي تأخرته الامة العربية ، آسيويا وافريقيا، على مخطط الصهيونية العالمية ، سيوغل العرب اكثر فاكثر، وينقبون عن اسباب « يوم ميسلون » و « ١٥ ــ ٥ ــ ٤٨» في آخر هذا القرن . وكما كانت «ميسلون» للعرب اتراحا ومآتم ، كذلك كان «١٥ــ٥ــ٤٨» وكان اليومان لليهود افراحا ومغانم .

ــ كانت الصهيونية سنة ١٩٢٠ اشد ما تخشاه وترتعد فرائصها منه خوفا ، هو ان يتمكن العرب الاسيويون من انشاء الدولة العربية المستأنفة في الشام انشاء حكيما حرا يرضع الحضارة ويرتضع منها ، حتى اذا اجتاز العرب دور المخاض والتجربة ، وتحرروا في افريقيا مثل تحررهم في غربي اسيا ، التأمت هذه الامة المكتوب لها ان تمتلك خير بقاع الارض ، واجمل السهول والانهار والجبال والسواحل والمرافيء ومضايق البحار ، يوم لم يكن بعد قد نادى المنادي : « ايها العرب ان الذهب الاسود تحت اقدامكم وسيكون لكم شان به ، وسيكون له شان بكم »، التأما عمرانيا مدنيا ومسلحا ، بحيث لا تقوى دواليب الحضارة على الدوران الا اذا كان للعرب في « نعم » و « لا » القول المطاع المليء.

ــ وان سوريا او بلاد الشام ممتدة من جبال طوروس الى العقبة ، ووراءها ما وراءها الى العراق ، لقادرة ان تعظم وعد بلفور او تخنقه في المهد ، وانف الحراب الانكليزية راغم . الم تستطع البنادق العراقية سنة ١٩ و٢٠ ان

● راجع عدد ابريل ١٩٧٥ صفحة ٢

تجثث روح الاستعمار البريطاني وتجففه وتحول الانتداب الى معاهدة ، ثم يسير العراق سيره المعلوم حتى اذا دار الزمن دورته ، وقام على العراق ابناؤه العرب الاحرار الذين نشاهد برامجهم البنائية العمرانية اليوم ، آمن العرب انهم امة ، وانهم سلاح، وانهم عرب لجميع العرب. هذا ما كانت الصهيونية تخشاه ، فلما كان « يــوم ميسلون » واغارة غورو على دمشق ، رقصت الصهيونية في فلسطين ان العرب لم يستفيقوا بعد . وطالت «النومة» حتى رمضان ١٣٩٣ وتشرين ١٩٧٣ وقد كان في رمضان اول مرة منذ ٢ نوفمبر ١٩١ ان انتصر العرب في سيناء والجولان من العدو الخبيث .

ـ الحاج محمد امين الحسيني كان من رجالات العرب وشبابهم اليقظ الحي المتنبه في دمشق . وقد راى كل هذا واستوعبه ووقف على الظواهر والبواطن . ادرك ما ميسلون وما معناها عربيا وصهيونيا. وقع القضاء والقدر، وبقي الفلك يدور . وتمكنت فرنسا في سوريا وقسمتهـا الى دويلات ، وتيتمت فلسطين ، وكان يطلق على فلسطين « سوريا الجنوبية » فغاب هذا الاسم بعد ميسلون . وكانت الروابط بين دمشق والقدس مجدولة الجبـال فتنافرت وتقطعت . وكان في القدس « النادي العربي » اسسه الحاج امين فاذا به يصمت بعد تموز ١٩٢٠،وتبقى اللافتة العريضة الطويلة مكانها تحمل اسم « النــادي العربي » مدة بعد ذلك ، وهذا النادي في « باب الخليل » في القدس هو ربيب «النادي العربي» الام الرؤوم مـن دمشق تجاه لوكندة خوام في ذلك الزمن .

ـ لما قرر الرئيس ويلسون ان يرسل الى سوريا وفلسطين ولبنان سنة ١٩١٩ لجنة الاستفتاء ، مؤلفـة من اميركيين اثنين من انبل رجال اميركا خلقا وضميرا ووجدانا ، وهما هنري كنج وتشارلس كراين (١)، بعد ان تملصت فرنسا وبريطانيا من الاشتراك في هذه البعثة لعلمهما المؤكد ان الاستفتاء سيكشف عن اضمارهمــا السوء للعرب ، وسيزيح الغطاء عن اتفاقية سايكس-بيكو السرية وهي بين فرنسا وبريطانيا لتقسيم البلاد العربية قسمة تحقق مطامعهما الاستعمارية بعد ان وقع كل هذا وجاءت اللجنة التي غلب على تسميتها « لجنة كرايــن»، كان الحاج امين المطيب الثرى ، قد جند العاملــين في فلسطين ، وهو واخوانه الخلص في الطليعة ، وعقد اول مؤتمر عربي فلسطيني في القدس والحكومة العسكريـة المحتلة تراقب وتترصد ، وكان عقد هذا المؤتمر قد تـم قبيل مجيء اللجنة ، وكان مجيئها في اول حزيران ١٩١٩. من الان فصاعدا ، صار الحاج امين اكثر فاكثر هو راس الحركة الرابطة بين فلسطين ودمشق . ولما شرعت اللجنة في الاستفتاء لم يستطع الانكليز عرقلتها الى حد كبـير لحاجتهم في مؤتمر الصلح الى الدكتور ويلسون . فنـادى اهل فلسطين العرب بقضهم وقضيضهم انهم تابعــون للدولة العربية امهم الرؤوم وهم الجزء الجنوبي (٢)منها. وبقي آخر نامة لصدى هذا التعبير الى ١٩٤٨ ، ومرة يوم عقد مؤتمر انشاص في مصر لنصرة فلسطين سمعت الرئيس شكري القوتلي رحمه الله على المذياع يخطب خطبة سياسية من دمشق ، ولما تناول فلسطين ، وهي على وشك الوصول الى المسلخ ، قال : «واما فلسطين ، او سوريا الجنوبية»، فقلت وانا استمع هذا :

ماااصح ما قال شاعرنا الحكيم :

امرتهمو امري بمنعرج اللــوى   فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

الحاج امين والمؤتمرات العربية الفلسطينية : فـي اثناء عهد « الحكومة العربية » في دمشق من اول تشرين الاول ١٩١٨ الى آخر تموز ١٩٢٠ وهي ٢٢ شهرا ، كانت فلسطين ممثلة في «المؤتمر السوري العام (٣) » تمثيـلا تاما ، ولما وضع المؤتمر قراره التاريخي في حدود سوريـا ووحدة اراضيها كانت فلسطين الى رفح هي سوريــا الجنوبية كما تقدم ، وقرر المؤتمر رفض الصهيونية رفضا مطلقا ورفض وعد بلفور . والمؤتمرات العربية الفلسطينية انما كان اول مؤتمر منها في القدس قبيل مجيء لجنــة الاستفتاء ، ولا ينبغي المزج بين المؤتمر العربي الفلسطيني الاول في القدس و « المؤتمر السوري العام » في دمشـق، وان كان مؤتمر القدس بمثابة ربيب «للمؤتمر السـوري العام »، وكلاهما عقدا « حزيران ١٩١٩ . وطبعا ان الغاية من عقد مؤتمر القدس ، وفلسطين محتلة مطوقـة بوعـد بلفور ، شد المهاميز العربية في داخل البلاد ، ليكون ذلك دليلا ، قوميا عمليا على الاعتصام بدمشق الام .

(١) السيد تشارلس كراين اشتهر في النصف الاول من هـذا القرن وصداقته للعرب والمسلمين صادقة لا ريب فيها ، ومدخله الـى هذه الصداقة انه كان سفير بلاده يوما في الصين وساح الشرق وشاهد العرب والمسلمين عن كثب ، وسنة ٩٢٣ ـ ٢٤ ساح في اليمن وافريقيـا وعرج على فلسطين في أوبته ،، فدعاه الحاج امين بصفته صديقه السابق ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ، الى حفلة شاي زاهـرة في احدى ردهات المجلس الكبرى قرب الحرم الشريف ، وهما «اصدقاء» منذ جاء في لجنة الاستفتاء سنة ١٩١٩ ورحب الحاج امين به ترحيبـا جميلا ذاكرا له فضله في خطبة انيقة صريحة ، والمدعوون من رجـال الحركة الوطنية عدد كبير يمثل كل فلسطين . فلما رد السيد كرايـن على صديقه الحاج امين بخطبة واعية حكيمة . والسيد كراين هــو الذي بنى قبرا جميلا في الاستانة للسيد جمال الدين الافغاني بـين الحربين ، ثم قامت حكومة افغانستان اخر الحرب العالمية الثانية بنقل رفات السيد جمال الدين الى كابل . وزار السيدكراين سوريا سنة ١٩٢٢ في شهر نيسان فاحتفى به الاهالي وعلى رأسهم الدكتور عبـد الرحمن الشهبندر فهاج الفرنسيون واعتقلوا الشهبندر ورفاقه الـى جزيرة ارواد ، وبعد نحو سنتين جاء السيد كراين فلسطين راجعا من اليمن على ما سبق وختم سياحته في فلسطين بطواف طافه في المدن الكبرى ولم تستطع السلطة الانكليزية مضايقته بحال . وندبني الحاج امين رئيس المجلس لمرافقته في ذلك الطواف لكي اترجم له خطبـه الشفوية التي كان يخطبها في العرب وكانت خطبته في بيت لحم انفس خطبة قالها مسيحي اوروبي اميركي على الاطلاق.

بداية المؤتمرات الفلسطينية: لعله من المفيد ان نسجل هنا بداية هذه المؤتمرات واماكن عقدها بين الشام والقدس، والعامل الاول فيها الحاج امين ، ومعه اخوانه ابناء فلسطين عصبة ، فالمؤتمر الاول عقد في القدس في اوائل حزيران ١٩١٩ اعدادا للاستفتاء ، وفي ظل دمشق في المطالب . وهذا المؤتمر الاول الف لجنة تنفيذية ، وهذه اللجنة قررت بعد حين عقد المؤتمر الثاني ، وفي القدس ايضا ، ولكن السلطة العسكرية حالت دون ذلك ومنعت المدعوين من الانتقال من مدنهم الى القدس ، فعقد في دمشق . والذي يحب ان يراعي تسلسل المؤتمرات العربية الفلسطينية فلينتبه الى هذا ، اذ بعضهم يعد هذا المؤتمر الذي عقد في دمشق هو الاول ، فهو الثاني ، كما ترى . وكان عقده في ٢٧ شباط ١٩٢٠ ودمشق كالمقلي على النار .

وقد وضح لي هذا الزعيم العربي المؤمن رشيد الحاج ابراهيم سيد حيفا ورجلها الصامد ، رحمه الله ، وذلك ونحن في اريحا سنة ١٩٥٠. وقد كتب ذلك بخط يده حاشية علقها على صفحتي ٣٢ و ٣٤ من كتاب عيسى السفري المطبوع في يافا سنة ١٩٣٧ طبعته الاولى، ومقدمة الكتاب الوجيزة وضعها له الحاج امين مؤرخة في ٢٠ المحرم ١٣٥٦ ـ ٢ نيسان ١٩٣٧ (بعد هذا التاريخ بنحو ٧ اشهر غادر الحاج امين فلسطين الى لبنان في خريف تلك السنة كي لا يقع في اعتقال الانكليز) وقال لي رشيد ان المدعوين من مختلف انحاء فلسطين بعد ان حيل بينهم وبين الوصول الى القدس ، لم يتمكن غير ثلاثة من اختراق حاجز المنع والوصول ، وهم رشيد نفسه من حيفا، وحنا عصفور من حيفا ايضا ، ورشدي الشوا من غزة .

ثم كان « يوم ميسلون » في الثلث الاخير من تموز ١٩٢٠ وفي ١٤ـ١٢ـ١٩٢٠ اي بعد اقل من خمسة اشهر من نكبة ميسلون عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في حيفا برياسة موسى كاظم الحسيني(٤)، وتوالى بعد ذلك عقد المؤتمرات عند الحاجة في القدس ويافا وحيفا ونابلس ، وبلغ عدد هذه المؤتمرات ثمانية آخرها سنة ١٩٣٤ وفي هذه السنة توفي موسى كاظم رحمه الله ، ولا مؤتمرات وطنية بعد ذلك .

موسى كاظم الحسيني والحاج امين الحسيني : نحن اليوم في سنة ١٩٧٥ واختار الله الى جواره الحاج امين السنة الماضية رحمه الله ، وراينا يوم الانهيار ١٩٤٨ وها قد مضى على ذلك اليوم ٢٧ سنة نازحين « لاجئين » مخيمين ، حتى كانت « فتح » منذ ١٢ سنة ، ثم من الله بيوم رمضان ١٣٩٣ او تشرين ١٩٧٣ فانقلبت الموازين ورأينا النصر المؤزر في سيناء والجولان ، وهو اول يوم انتصف فيه العرب من اليهود منذ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ يوم صدور وعد بلفور . وبين ١٩٤٨ واليوم نشأ جيل عربي لم يعاصر حوادث فلسطين في عهد الانتداب ، والان لتوضيح القوافل في فلسطين ليكون ذلك بينا للاجيال العربية في الافاق ، نقول ، جوابا على السؤال : كيف كانت تدار القضية من جهتي الحاج الامين الطالعة زعامته منذ نهاية الحرب الاولى ، وموسى كاظم عليها رحمة الله، وموسى كاظم انتقل من رياسة بلدية القدس الى زعامة القضية في سنة ١٩٢٠ ؟

ونشأ الامر هكذا : ان آل الحسيني في القدس من بيوتات العرب ذات التراث القديم علما ووجاهة، وممارسة للاعنة في العهد العثماني . والافتاء (٥) في بيتهم كذلك، على الاقل منذ القسم الاخير من القرن التاسع عشر . وكانت رياسة بلدية القدس عند الاحتلال في آل الحسيني يتولاها حسين سليم الحسيني اخو موسى كاظم باشا ، فلما توفي حسين سليم الى رحمة الله في اوائل ١٩١٨ عين اخوه موسى كاظم محله ، وهو كما قلنا في حدود السبعين اكثر او اقل قليلا ، وبقي في رياسة البلدية الى ١٩٢٠ وهذه السنة سنة نكبة ميسلون وتيتم اهل فلسطين بعد انهيار مخطط استئناف الدولة العربية في الشام ، ورجع من رجع من رجال فلسطين الى فلسطين يلملمون بقاياهم ويفكرون في المصير المظلم . وسبب خروج موسى كاظم من البلدية ، وللبلدية شأنها الكبير في القدس وفي سائر فلسطين ، ان أخذ اليهود ووراءهم الانكليز يحاولون صبغ البلدية صبغة يهودية فطلبوا ان تكون اللغة العبرية لغة رسمية ، فابى موسى كاظم ، لان الاعضاء اليهود في البلدية اقلية ، ولما اخذت الازمات تشتد بين فيصل والافرنسيين في سوريا ، كانت فلسطين يشتد نبضها، وتقيم التظاهرات الكبيرة ، في الاحتجاج على الصهيونية ورفض وعد بلفور ، وهذا ما قرره « المؤتمر السوري العام » في صيف ١٩١٩ وابلغه الى لجنة الاستفتاء (لجنة كراين) فكان موسى كاظم يساند التظاهرات الشعبية السياسية فاما ان يكون على راسها واما ان يطل عليها ويحييها والجماهير سائرة امام دار البلدية في ساحة باب الخليل ، وهي اوجه ساحات المدينة .

فأجمع الحاكم العسكري امره وقال له : لك ان تختار بين ان تبقى رئيسا للبلدية الممثلة للعرب واليهود، وتقبل باستعمال العبرية لغة رسمية ، وتمتنع عن مساندة المظاهرات ، او ان تستقيل . فمذ بلغت مسامعه عبارة الحاكم اجابه فورا اني مستقيل من هذه اللحظة لخدمة بلادي ، وكتب استقالته في عبارتين وانصرف ، فعين الحاكم محله راغب النشاشيبي العائد من الاستانة حديثا وهو كان من اعضاء البرلمان العثماني ، وبقي راغب في رياسة البلدة الى ١٩٣٤ اي ١٤ سنة شوطا بعد شوط .

فانتقلت شخصية موسى كاظم الحسيني من رياسة بلدية القدس الى زعامة قضية فلسطين ، شيخا جليلا مهيبا ، عاقلا حكيما ، له رياسة المؤتمرات ورياسة الوفود الى لندن وجنيف ، ورياسة اللجنة التنفيذية ، وطال ذلك

الى ١٩٣٤ سنة وفاته ، ١٤ سنة . ومن غريب الاتفاق ان في هذه السنة خرج راغب من البلدية اثر انتخابات لم ينجح فيها فحل محله الدكتور حسين فخري الخالدي الذي نفي بعد نحو ٣ سنوات مع رفاق له الى جزيرة سيشل حيث بقوا هناك الى وقوع الحرب العامة الثانية (٦) .

من هو موسى كاظم باشا الحسيني : لما تقاعد سنة ١٩١٣ ولزم بيته ، كان المؤتمر العربي يعقد في باريز برياسة عبد الحميد الزهراوي الشهيد والدول البلقانية تهزم تركيا في حربي البلقان ، وايطاليا منشبة مخالبها في طرابلس الغرب (ليبيا) ، وفرنسا تصيح تريد المشرق ، ورجال تركيا يحدثون آخر انقلاب سياسي فيطيحون بخصومهم السياسيين ، ويأتون بحكومة مؤلفة من الحزب الطوراني القائل بتحويل العرب والكرد وغيرهم الى «اتراك» على العقيدة الطورانية ، وبلاد الشام تخشى احتلالا اجنبيا اما بالمواطأة على الدولة العثمانية واقتسامها ، واما باحداث الفتن الداخلية واهتبال الفرصة للاحتلال – لما كان كل هذا يقع سنة ١٩١٣ :

كان الصهاينة في آخر انقلاب في الاستانة قد انبثوا اوسع انبثاث في اجهزة الدولة ، ونالوا ثلاث حقائب وزارية في الانقلاب الدموي الجديد ، هي :

١ – وزارة النافعة (الاشغال العامة) .
٢ – وزارة التجارة والزراعة .
٣ – وزارة البوستة والتلغراف .

اما وزير النافعة فهو « بساريا افندي » عضو مجلس الاعيان واصله « فلاخي بغداني » من رومانيا ، وكان من قبل رئيس تحرير جريدة « جون تورك » الصهيونية .

واما وزير التجارة والزراعة فهو « نسيم مازلياح »، نائب ازمير في البرلمان العثماني ، ومفوض الجمعية الصهيونية . واما وزير البوسطة والتلغراف فهو اوسقان افندي وقبل وصوله الى هذه الوزارة بخمس سنين كان كاتبا في الديون العمومية بمرتب متواضع .

ولم يكن للعرب في هذه الوزارة الا حقيبة واحدة يحملها سليمان البستاني العلامة معرب« الالياذة »،والعرب نصف المملكة في عدد السكان ، واما في مساحة البلدان فقدر الاناضول بعشرات المرات .

وكان الصهاينة قد تمكنوا بواسطة هؤلاء الوزراء الثلاثة ان يسنوا قانونا يجيز للشركات الاجنبية ان تتملك الاراضي في الدولة العثمانية باعتبارها (اشخاصا معنوية) وجاءوا الى الغور عندبيسان يريدون شراء الارض ، فاقيمت وقتها ضجة في الصحف العربية في مصر وسوريا والعراق ، وفي البرلمان العثماني ، احتجاجا على تلك المحاولة ، فاستطاع العرب ابطالها .

وكان موسى كاظم باشا الحسيني، الشيخ المتقاعد، بعد خدمة طويلة في مناصب متنوعة في يافا وصفد وحارم وعكار وعجلون ، وعسير ونجد والحسا وسعرد، وبتليس وديار بكر ، وحوران ، امسى ذلك الرجل الحكيم الواسع الصدر، وجاء دوره منذ ١٩٢٠ فصاعدا ان يتولى«الواجهة الخارجية » للقضية العربية في فلسطين . اكبر شخصية عربية ممتازة في فلسطين ، بل من مقدمي شخصيات العرب الذين علوا علوا كبيرا في فن الادارة في الدولة العثمانية ، وسجل في سيرته ضربا من الاستقامة فريدا لا شك في ذلك . ولما وقعت الحرب العامة الاولى لزم بيته في القدس ، الى ان عين محل اخيه حسني سليم رئيسا للبلدية اول ١٩١٨ كما سبق . اما صفاته الاخرى، فقد كان مثالا في الوداعة والدفاع عن الكرامة القومية ،وقد احاط خبرة وعلما بالحركة الصهيونية ومطاويها الخبيثة. طويل القامة منتصبها ، لم يتقوس له ظهر وهو في الرابعة والثمانين ، كان يتصدر التظاهرات في الطليعة غير هياب. دفن في جوار المسجد الاقصى ، وبعد اربع سنين دفن الى جواره ابنه الشهيد الكبير عبد القادر الحسيني(٧) رحمهما الله .

انتقال الحاج امين الحسيني الى الافتاء ورياسة المجلس الاسلامي الاعلى ١٩٢٢ وكيفية ذلك والمندوب السامي الاول : نشعر بان من الواجب علينا ، حرمة للحقيقة والتاريخ المتعلق بسيرة الرجل الملهم الحاج امين الحسيني ، عليه رضوان الله ، ان نبين كيف اختير مفتيا

---

(٢) كان العربي اللبناني العامل والصحافي الحر الاستاذ سامي سليم يقيم في بيروت ، وبيني وبينه اخوة وصداقة ، وابدا يراسلني وانا في فلسطين من اول نهارها الى يوم انهيارها ، وما كان يجعل العنوان الا هكذا : القدس – الجزء الجنوبي من القطر .

(٣) « المؤتمر السوري العام » وهكذا اطلق عليه من الاسم، انعقد في دمشق في حزيران ١٩١٩ واعضاؤه من سوريا (الاردن وقتها تابع لسوريا الى حد معان) وفلسطين ولبنان انتخبوا انتخابا شرعيا وسميت حكومة العرب المؤلفة منذ احتلال دمشق في اول تشرين الاول ١٩١٨ « بالحكومة العربية » فتعبير « المؤتمر السوري العام » و «الحكومة العربية » معناه حكم العرب مدة الاثنين والعشرين شهرا.

(٤) هذا المؤتمر الاول في القدس لم يرأسه موسى كاظم اذ كان لا يزال في البلدية وطبعا لم يراس المؤتمر الذي عقد في دمشق وانما انحصرت به الرياسة من مؤتمر حيفا فصاعدا .

(٥) انما كان للافتاء الحنفي في المملكة العثمانية التقدم الشكلي على المذاهب الثلاثة لان الدولة العثمانية كانت تاخذ به اذ الامام ابو حنيفة من العروق التركية .

(٦) سنة ١٩٣٧ في الخريف بدات الثورة بمقتل حاكم الجليل البريطاني المتهود . اما المفتي الحاج امين فدبر امره بالانتقال الى بيروت بحرا في قارب عربي من يافا متنكرا كي ينجو من الاعتقال . واما الذين نفتهم السلطة الى سيشل فهم : احمد حلمي عبد الباقي ورشيد الحاج ابراهيم والدكتور حسين فخري الخالدي ، ويعقوب الغصين وفؤاد سابا ، وكلهم في اللجنة العربية العليا المؤلفة من الاحزاب الخمسة باتفاق تام سنة ١٩٣٦ .

اكبر لفلسطين ، ثم رئيسا مدى الحياة لرياسة المجلس الاسلامي الاعلى ، الممثل لمسلمي فلسطين في شؤونهم الدينية ، مشرفا على المحاكم الشرعية وهي ١٧ محكمة وعلى الاوقاف الاسلامية ، وهي جمة ، ولها سبع دوائر في البلاد . ثم بعد ذلك نتكلم على منجزاته وكبيرمشروعاته عربيا واسلاميا ، ومراحله في النضال ، والتفاف الامة من حوله بصدق وايمان ، ويطرد ذلك الى خريف ١٩٣٧ اذ في ذلك الوقت اضطر الى براح القدس سرا الى يافا ، ومنها الى بيروت في قارب عربي رجاله من خيرة رجال يافا الذين تربوا على مغامرة البحر ، وقد اشتهرت يافا ببطولات رجالها هؤلاء وكانت تسمى يافا عروس فلسطين.

وانما ترجمتنا له ، رحمه الله ، تقف عند سنة ١٩٣٧ لا ابعد ، لان نضاله بعد انتقاله من فلسطين في تلك السنة ، هو صفحات اخرى تشمل المدة التي مكثها في لبنان وهي نحو من سنتين، ثم انتقاله من لبنان الى العراق ووقوع الثورة على الانكليز في العراق، وهي المسماة بثورة رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزارة العراقية ، ثم اضطرته ملاحقة الانكليز له ودقيق ترصدهم لحركاته ان ينتقل الى ايران ثم الى ايطاليا فالمانيا فبقاؤه في اوروبا والبلقان الى نهاية الحرب ، فجاء باريز سنة ١٩٤٦ وبقي في باريز على حذر شديد من ملاحقة الانكليز والصهيونيين له، حتى رعاه الله وانتقل سرا من باريز الى القاهرة فرحب به ملك مصر وحكومته خير ترحيب ، وفي تلك السنة استطاع الامير المجاهد القائد محمد عبد الكريم الخطابي ، ثائر المغرب في الريف من ١٩٢٠ ــ ١٩٢٦ ، ان يحل وثاقه من اسر الفرنسيين له منذ ١٩٢٦ في جزائر « رينيون » شرقي مدغشقر ، ويلجأ الى مصر ، ومن الواجب ان نسجل في هذا الموطن ان الرجل العربي المسلم الذي كان يمين الحاج امين في خطط انتقاله الى مصر من باريز سنة ١٩٤٦ هو السري الكبير الدكتور معروف الدواليبي ، العلامة الفقيه، رئيس مجلس النواب السوري ، وكان منذ سنين من مستشاري جلالة الملك فيصل الراحل في الرياض . وسنة ١٩٤٨ كانت النكبة ، فأخذ الحاج امين يوسع جهوده ولاسيما في مكة المكرمة والعالم الاسلامي وهو رئيس المؤتمر الاسلامي العام المعقود في مكة ومن مؤسسي « الرابطة الاسلامية ». ولم ينقطع عن العمل وحضور المؤتمرات ومعاناة الاسفار حتى سنة وفاته السنة الماضية في بيروت فخسر العالمان ، العربي والاسلامي ، بفقده زعيما كبيرا فعالا معتصما بذالا شغلت صفحات جهاده المطرد من التاريخ ٥٥ سنة . فنحن هنا معنيون بموجز سيرته الى خريف ١٩٣٧ رحمه الله .

ــ طلب اليهود من الحكومة البريطانية سنة ١٩١٩ ودمشق تغلي على النار ان تعجل بطي الحكومة العسكرية في فلسطين واحلال حكومة مدنية محلها ، وان يكون السر هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني المندوب السامي الاول على فلسطين ، وذلك اولا لانعدام الانسجام بينهم وبين الحكم العسكري ، وثانيا طلبا للانتقال الى عهد الانشاء فعليا للوطن القومي اليهودي ، وكان لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ومستر تشرشل وزير المستعمرات وقتها على غاية الالتحام بالمنهج الصهيوني فلبيا الطلب ، وجاء هربرت صموئيل اواخر ١٩١٩ في فصل الشتاء ابتغاء الدراسة عن كثب لاحوال البلاد وطبائعها من جميع الوجوه، وفي اثناء وجوده في فلسطين كان ضيفا على الحاكم العسكري العام الجنرال بولز ، فقام بدراسته ثم رجع الى لندن .

ــ ويتساءل القارىء : اذا كانت سوريا تتعارك وفرنسا في سوريا تعاركا شديدا ، وسوريا ام فلسطين، ونذر الحرب تملأ الجو ، اليس اولى بالحكم العسكري ان يستمر في فلسطين حتى تنتهي مشكلة سوريا ؟ ومن يدري ، فقد تثور سوريا في وجه فرنسا وقرار « مجلس الحلفاء الاعلى» القاضي باعطاء الانتداب على فلسطين لبريطانيا ، وفي الانتداب (الذي ليس لعرب فلسطين فيه راي او مشورة خلافا لمبادىء ولسن ولعهد عصبة الامم) مدمج وعد بلفور وانشاء الوطن القومي ، وقبل قرار سان ريمو باسبوعين كانت الحكومة العسكرية في القدس تعالج ثورة النبي موسى ، وهي اول ثورة بعد الاحتلال، ومن نتائج تلك الثورة ، الحكم العسكري على الحاج امين الحسيني بالسجن سنوات عديدة ، فخرج الى الاردن .

والجواب : ان الحساب الذي حسبه الانكليز لما سيقع في سوريا كان صحيحا ، وهو ان تتواطأ بريطانيا وفرنسا على تطبيق اتفاق «سايكس ــ بيكو» ، ولا حاجة بعد ذلك الى الحكم العسكري في فلسطين ، واذن فليأت اول مندوب سام ، وليس بريطانيا مسيحيا ، بل يهودي صهيوني قح، هو السر هربرت صموئيل ، وكان سنة ١٩١٤ وزير الداخلية في الحكومة البريطانية .

ــ من هو هربرت صموئيل ؟ هو «من حزب الاحرار» وثاني يهودي بريطاني تسلم حقيبة في وزارة بريطانية بعد دزرائيلي اليهودي المتنصر ، (تنصرا كاذبا ليتوسل بالنصرانية المموهة خدمة الصهيونية كما فعل ويشهد على هذا الصهاينة انفسهم فضلا عن الانكليز).

ولما دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا في خريف ١٩١٤ كان صموئيل (٨) وزير الداخلية ، فقدم الى مستر اسكويث رئيس مجلس الوزراء مذكرة وضعها مستر اسكويث في يومياته هكذا : « قدم هربرت صموئيل الى مجلس الوزراء مذكرة في منتهى الغرابة والشذوذ، طلب فيها انه في حالة اقتسام الاملاك التركية في آسيا ينبغي لنا ان نستولي على فلسطين ، ليتجمع فيها اليهود المشتتون في العالم فيقيمون فيها ويمنحون حكما ذاتيا (هوم رول) (راجع كتاب **Nisi Dominus** للسيد نفيل باربر وقد اقام في فلسطين سنتين وكان لنا به معرفة شخصية) .

ـ في اول تموز ١٩٢٠ وصل السر هربرت صموئيل الى يافا في بارجة بريطانية ، وخشيت الحكومة من غضبة العرب فيغتالوه في الطريق بين يافا وسراي الحكومة على جبل الطور في القدس ، فموهت السلطة العسكرية على العرب ، وبينما اعلنت ان المندوب السامي سينتقل بالقطار الى القدس ، نقلته برا تخفره قوة مسلحة ثقيلة ، والطائرات تسبح في الجو تكشف الطريق والمسافة بين يافا والقدس نحو ٦٥ ك.م. فوصل « الطور » ودخل مكتب الحاكم العسكري العام ، ولكن مجيئه اليوم ليس ضيفا بل مندوبا ساميا ، ولما جلس وقبل ان يقدم اليه الجنرال بولز وثائق التسلم والتسليم الرسمية ، قدم له وريقة فيها هذه العبارة : « انني قد تسلمت من الجنرال بولز الحاكم العسكري العام فلسطينا واحدة بحالة السلامة » ـ على طريقة الوصول التجارية !!.

فلما وقع نظر صموئيل على هذا اخذه الدهش وحار في امره وتطلع في بولز باديا على وجهه استغرابه فقال له بولز هذا الوصل لا بد من ان توقعه ، فوقعه واضاف اليه « ما عدا السهو والغلط »!!

ـ في آخر تموز ١٩٢٠ او بعد هذا باربعة اسابيع، خرج فيصل بن الحسين من دمشق ، بعد انذار فرنسي، الى درعا فبقي في درعا يومين او ثلاثة ثم والى سفره في القطار (سكة حديد الحجاز) الى حيفا مارا بوادي خالد ونهراليرموك،حتى اذا وصل القطار الى محطة «سمخ(٩)» قرب بيسان في الغور ، جاءه هربرت صموئيل من القدس وهون عليه ، ونقل اليه كلاما مبعوثا اليه من لندن ، وتم هذا في خلوة في القطار ، ثم استأنف القطار سيره الى حيفا . فمكث في حيفا اياما ثم توجه الى الاسكندرية فايطاليا بحرا .

ـ في ٤ نيسان ١٩٢٠ قبل وصول صموئيل بشهرين واربعة ايام ، كانت قد وقعت ثورة « النبي موسى» في باب الخليل في القدس ، وبطش العرب باليهود اول بطشة دموية ، هي فاتحتها تلاها من ثورات حتى ١٥ـ٥ـ١٩٤٨، وكان الحاج امين فعالا فيها فحكم عليه بالسجن من محكمة عسكرية حكما ثقيلا فتوارى ثم خرج الى شرق الاردن . وجعل الحاج امين يتنقل في القبائل والعشائر ، والكل اخوانه واصحابه ، فتلقوه بالترحيب ، ولا سيما عشيرة بني عطية .

ـ لما شرع صموئيل يمارس مهماته ، وفي اعلى البرنامج انشاء الاسس والاوضاع للوطن القومي حسب وعد بلفور ظاهرا ، واكثر من وعد بلفور تنفيذا ، مما يتعلق بالاقتصاد وتسهيل بيع الاراضي، والهجرة، وعلى الجملة ، كما هي العبارة في صك الانتداب ودستور فلسطين ، وضع البلاد في « حالات سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي (١٠) »

ـ لما شرع صموئيل في هذا ، وكان قد درس احوال فلسطين عن كثب في شتاء ١٩١٩ ـ ٢٠ كما تقدم ودرس ايضا على ثورة النبي موسى في اوائل نيسان ١٩٢٠ وموقف العرب من وعد بلفور والصهيونية ، راح يفكر تفكيرا عميقا في ما يكفل له السير على سلامة (١١) ، وفي ما يوصله الى المستقبل المرتقب ومدة ولايته خمس سنوات . اما اليهود فاطنبوا كثيرا في اطرائه والالتفاف من حوله ، وصحفهم ومعاهدهم كثيرا ما تذكره بلقب «امير اسرائيل الاول »، اي في العهد الحديث ، او « عزرا الثاني» اي عزرا الذي عاد اليهود من المنفى والشتات ، على يده الى فلسطين من بلاد الكلدان او العراق .

ـ لما مكث صموئيل طويلا وهو يعمل حساباته، غير ناس ان العرب اذا قاموا بثورتين في بحر سنة فما عساهم صانعون كلما طالت بهم المسافة ؟ في هذا الوقت كان الحاج امين لم يزل في ديار بني عطية العرب الكرام في شرق الاردن ١٩٢٠.

ـ ولكن في بحر سنة تقريبا ، كان اليهود قد نالوا على يد هربرت صموئيل مراحل كبيرة من رغائبهم :

١ ـ فالعبرية امست رسمية هي والعربية والانكليزية

٢ ـ استقلوا بمدارسهم ولا شأن للحكومة بها .

٣ ـ اتشحت معاهدهم كلها روحا صهيونية وانشأوا جمعياتهم وانديتهم ، وصاروا يقيمون المهرجانات الصهيونية المستفزة .

٤ ـ طلبوا تعديل الحدود بينهم وبين لبنان في الشمال لمصلحتهم ونظموا الحركة العمالية اليهودية الصهيونية تنظيما يخنقون بها العامل العربي.

٥ ـ وانصرفوا بعد كل هذا لمقاومة مطلب العرب في الحكم التمثيلي على نسبة عدد السكان . وباب الهجرة الواسعة يريدون توسيعه اكثر.

ـ في خريف ١٩٢٠ او بعد مجيء صموئيل ببضعة اشهر ، وقعت مناوشات في باب الخليل (اوجه ساحات القدس) بين العرب واليهود اقتصرت على التراشق

---

(٧) آخر تظاهرات كان في طليعتها ، تظاهرات العرب في يافا سنة ١٩٣٤ في الربيع ، فاتت حكومة فلسطين باشرس من عندها من البوليس ، افرادا وضباطا ، يحملون الهراوات الهندية ، وراحوا يحدقون به ويقصدون مضايقته لعله يخرج من التظاهرة ، فبقي صامدا سائرا في الطليعة ، فراح البوليس يهوي على الناس بالهراوات يحدث الفوضى ومن وراء الفوضى ان ينال موسى كاظم شيء من الضربات، ورغم ان القوم احاطوه احاطة السوار بالمعصم ، ليكونوا له درعا واقيا ، فقد اصيب بعدة ضربات على كتفيه سببت له آلاما شديدة وتوفي بعد قليل رحمه الله .

(٨) وصفه صديقه مستر تشرشل علنا بانه «صهيوني قح »بهذه العبارة وبعيد مضي مدة على توليه العمل في فلسطين وشعوره بالمازق الحرج اصدر بيانا رسميا سياسيا في مناسبة ما وقال اني انا لست صهيونيا ،، فكان كاذبا كما ترى . دزرائيلي (١٨٠٤ ـ ٨٨١) هو القائل : « اليهودي هو القوة وراء كل عرش في بلاد اوروبية ».

بالحجارة ، ورشق العرب بنوك اليهود بالحجارة حطموا بعض نوافذها .

ولكن وقعت في يافا في اول ايار سنة ١٩٢١ او بعد مجيء صموئيل باحد عشر شهرا، ثورة يافا التي استمرت اسبوعين ، وسببها ان العمال اليهود خرجوا بالتظاهرات احتفاء بعيد العمال ، ووصلوا من تل ابيب الي احياء يافا الشمالية فردهم العرب ردا شديدا ، ثم اخذت النار تتقد بالمستعمرات العديدة حول تل ابيب وفي الامكنة والمستوطنات التي تقع في حدود عشرات الكيلومترات منها، وكان بطل البطش الشيخ شاكر ابو كشك شيخ عربان منطقة نهر العوجا (١٢) الساحلية فألقت الحكومة القبض عليه وسجنته والفت لجنة تحقيق برياسة قاضي القضاة البريطاني ، «هيكرفت» .

وكان من نتائج التحقيق الاولى في الخطورة ، ان قيام العرب بما قاموا به خوفهم من مستقبل الوطن القومي والهجرة التي تنقل في طياتها الاباحات الخلقية.

البلاد العربية ، الشقائق المجاورة : اما سوريا فقد كان غورو ممعنا بتقسيم سوريا الى دويلات ، وقد ولت ايام الحكم العربي ٢٢ شهرا . واما مصر فقد كانت تتراقص فيها الثورة ، وسعد زغلول وصحبه في المنفى، والامة المصرية بالاثني عشر مليونا (هذا الاحصاء وقتئذ واليوم ٣٦ مليونا) قائمة قاعدة ، والعراق قد حل به فيصل بن الحسين ملكا منتخبا وهو بعرشه جديد ، والحسين بن علي في الحجاز يراوده الانكليز على يد لورانس ليوافق على معاهدة جديدة تصفي الحسابات القديمة منذ ١٩١٦ شرط ان يعترف بالتزامات بريطانيا لليهود في فلسطين فيأبى ثم يأبى . ومصطفى كمال يلهب اقفية الجيش اليوناني في الاناضول بسياطه . وقد حل الامير – الملك عبد الله في الاردن ربيع ١٩٢١ وكأنه كان على موعد مع دوران تاريخ فلسطين بعجلات جديدة .

– في سنة ١٩٢٢ على الراجح ، كان هربرت صموئيل قد كرر عملياته الحسابية ، فاصدر عفوا عن الحاج امين الحسيني وعن رفيقه عارف العارف فعادا الى القدس . فعل صموئيل هذا بعد تفكير طويل، فاختار آمن الطرق. والاوضاع الصهيونية الجديدة سائرة بنشاط وامل، واستعداد للتوسع .

– كان في فلسطين حين وقع الاحتلال آخر ١٩١٧ سبعة مفتين فضلاء علماء في المدن المختلفة ، وكانوا يتقاضون مرتباتهم من خزانة الدولة العثمانية ، كحيفا ويافا وصفد والخليل وغزه وعكا . وكانت المحاكم الشرعية الاسلامية تابعة لمشيخة الاسلام في الاستانة ، وكذلك الاوقاف الاسلامية العامة .

– الشيخ كامل افندي الحسيني المفتي الاكبر في القدس هو الاخ الاكبر للحاج امين الحسيني . شخصية مليئة ، فضلا وعلما ونبلا ، وحريصة على روح التراث العربي الاسلامي ، وقد نال علومه في الازهر في عهدالاتراك وهو اليوم في حدود الخمسين . وكان من شأنه انه كلما وقعت له عقدة مع اليهود او الانكليز ، نفر الى موقف الحريص على كرامته وكرامة قومه . عرفه الانكليز جيدا ، ومرة دخل بعض الجنود بيته بغير اذن فشكاهم شكوى جعلت السلطة تعتذر اليه . ومرة فتش الانكليز بيته على اثر غياب الحاج امين بعد الحكم العسكري عليه، وكانت السلطة قد منحته من قبل وساما رفيعا ، فاحتج على التفتيش ورد الوسام باباء وشمم .

– نظام انتخاب المفتين في العهد التركي له محله في القانون العثماني. والوظائف الدينية في الحرم القدسي الشريف يرثها الابن من ابيه او قريبه . وهذا منذ الزمن القديم .

– لما مرض الشيخ كامل الحسيني مرضه الذي توفي به رحمه الله ، كان اخوه الحاج امين قد عاد الى القدس. وصارت الظروف والاحوال تستوجب ان يتهيأ الحاجامين ليكون خالفا لاخيه في الافتاء ، اذا نفذ شيء من قضاءالله في الشيخ كامل . وقد حل قضاء الله بعد قليل فتوفي الشيخ كامل الى رحمته تعالى تاركا سيرة وضاءة وكل اثر حميد .

– فلننظر الى حالة فلسطين العامة من ناحيةالحقوق الاسلامية الدينية ، بمعزل عن غيرها من الحقوق ، نجد ان اليهود قد امسوا طائفة مستقلة ، لها مقوماتهااليهودية على اتم ما يمكن ، وفي زمن الحكومة العسكرية كانت المحاكم الشرعية يديرها الضابط العسكري النائب العام اليهودي الصهيوني نورمان بنتويش (١٣)، الجالساليوم

---

(٩) سمخ هذه قرب طبرية من الجنوب وهي محطة قطار سكة حديد الحجاز في الغور وبقربها سقط الطياران العثمانيان « فتحي وصادق » في اوائل شباط ١٩١٤ وكانا اول طيارين ظهرا في سماء سوريا ولبنان فكانا شهيدين في الطيران العثماني .

(١٠) المادة الثانيةمن صك الانتداب على فلسطين ، وقد طبق هذا قبل اعلان صك الانتداب في ٢٩ ايلول ١٩٢٣ .

(١١) هربرت صموئيل اطلق عليه الرصاص اكثر من مرتين مدة وجوده في فلسطين الى ١٩٢٥ واهم حادث حصل له هو لما جاء يزور بيسان لاول مرة احتشد الاهالي العرب على خيولهم احتشادا مهرجانيا اخاذا واحاطوا به لمجرد التظاهر فتزلزل وكاد يغمى عليه ، قص علي الحادثة القائمقام الذي كان هناك الحاكم الاستاذ ربحي مرادمن القدس.

(١٢) القبائل والعشائر العربية في فلسطين هي من غزةفجنوبا، وهنا كثرتها الكاثرة ، ثم في شمالي فلسطين في غور بيسان وهذا هو المكان الثاني ، ثم في منطقة العوجا السهلية الساحلية .

(١٣) سنة ١٩٢٦ اطلقت عليه النار فنجا.

(١٤) اخبرني من كان في اجتماع المسجد الاقصى ان العرائض كان يتراكض الناس لتوقيعها والعريضة تبلغ اكثر من متر طولا،وصديقي الذي اخبرني هذا في عمان سنة ١٩٥٥ كان هو نفسه من الموقعين وراى كل هذا .

خيالات

يا فتنة العشاق هل تذكرين — رجع اغانينا وطيف الحنين
آمنت ان الحب اسطورة — تهفو اليها مهج العاشقين
شقراء ، هذي النار في اعرقي — تقتات من روحي ، هل تعلمين
يمضي صباحي دونما غاية — والليل يطويني بشوقي الدفين
وانت يا وحي انطلاق المنى — في سرحة الاهواء بي تهزأين
اشكو الى عينيك من شقوتي — ولوعة الذكرى وطول الانين
الام اطوي العمر نهب الظما — وحولي الكوثر ، ثر المعين
انت الرحيق العذب يا صبوتي — وانت وحي الشعر والملهمين

بغداد — عبد الخالق فريد

الى جانب السكرتير العام لحكومة فلسطين . طبعا ان هذه حالة لا تطاق ، وليس من المعقول ان تبقى وقد انتهت الحكومة العسكرية . فاعرب اهل الحل والعقد من المسلمين انهم يريدون ان تكون لهم هيأة عليا ترعى شؤون المحاكم الشرعية والاوقاف . وبعد النقاش وتبادل الراي انتهى الامر الى تحقيق هذا .

وروئي ان تكون هذه الهيأة هي « المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى »، والمجلس يؤلف من الرئيس الذي ينبغي أن يكون المفتي الاكبر ، ومن اربعة اعضاء وجميعهم يمثلون فلسطين . والشخصية المؤهلة لرياسة المجلس هو المفتي الاكبر الحاج محمد امين الحسيني، الذي تتمثل فيه الكفايات التامة لتولي هذا المنصب الجديد الذي يطلب المسلمون من الحكومة ان تلبيه ، وفضلا عن هذا فان الحاج امين تتمثل فيه ايضا الحركة الوطنية منذ ١٩١٨ والشعب اجماعه منعقد على هذا .

ـ فوضعت الهيآت الاسلامية ورهط العلماء واهل الحل والعقد في اجتماع كبير في المسجد الاقصى ، العرائض (١٤) الى الحكومة بهذا المطلب ، واول الخطوات ان ينتخب الحاج امين مفتيا اكبر خلفا لاخيه ، ولم يسع صموئيل الا ان يوافق على هذا التيار وجرى انتخاب الحاج امين مفتيا اكبر ، ووضعت الحكومة نظاما لمجلس اسلامي اعلى يكون مؤلفا من المفتي الاكبر رئيسا دائما مدى الحياة ومن اربعة اعضاء ، وجرت الانتخابات لاول مرة سنة ١٩٢٢ حسب قانون الانتخابات العامة لمجلس النواب العثماني ففاز اربعة هم :

١ ـ الشيخ محمد مراد مفتي حيفا ، ومن جلة العلماء واهل الفضل يمثل شمال فلسطين.

٢ ـ الاستاذ القانوني عبد اللطيف صلاح يمثل لواء نابلس وكان يعمل في «المابين» العثماني قبلا .

٣ ـ القاضي السابق عبد الله شفيق الدجاني يمثل لواء يافا .

٤ ـ الحاج سعيد الشوا يمثل الجنوب من فلسطين وهو من غزة هاشم .

ولواء القدس يمثله بطبيعة الحال رئيس المجلس.

وولاية المجلس اربع سنين ، ومركزه في القدس، وصلاحياته حسب نظامه الاشراف على المحاكم الشرعية والاوقاف العامة . وكما سبق بيانه ، فان في فلسطين ١٧ محكمة شرعية على راسها محكمة استئناف . والاوقاف تتولاها سبع دوائر في فلسطين بالاضافة الى المركز في القدس .

وكانت موازنة الاوقاف في السنين الاولى بين ٤٠ـ٥٠ الف جنيه فلسطيني في السنة . والحكومة جريا على النمط المراعى في العهد التركي ، تجبي واردات هذه الاوقاف ـ الاراضي ـ وتؤديها الى المجلس لقاء عمولة مقررة . واما واردات المسقفات فيجبيها المجلس بواسطة دوائر الاوقاف رأسا . واما المحاكم الشرعية فموازنتها في حدود ٢٠ الف جنيه فلسطيني ، وبعد انتخاب المجلس ومباشرته العمل سلمته الحكومة موازنة المحاكم الشرعية وهي تدفع قيمة هذه الموازنة من خزانتها ، كما كان الامر زمن الترك .

لما كان القصد من هذا كله ان نستوفي سيرة الحاج امين ، فنقول انه بقي في منصبه الى ١٩٣٧ اي ١٥ سنة مطردة . واذا اوجزنا الى هنا سيرته الى ١٩٢٢ فمبتدىء من الكلمة التي ستتلو ان شاء الله في العدد القادم في سيرته وهو في المجلس تلك المدة .

راس المتن ـ لبنان — عجاج نويهض

تسمرت عينا الفتاة على الوردة الحمراء الذابلة وقد اعتصرت قلبها كلابات باردة مؤلمة اظلمت معها نفسها بوحشة عميقة .

انها هي .. هي نفسها الوردة التي شاهدتها منذ اسبوع في نفس الكوب الزجاجي فوق « الكومودينو » القائم قرب سرير حبيبها .. وكانت في ذلك الوقت غضة يانعة .

واستعاد ذهنها تفاصيل رؤيتها الاولى للوردة .. وكانت قد نسيتها تقريبا . ذكرت كيف سألته عرضا عن مصدرها .. سألته ذلك وهي تسكب الشاي وتنظر في عينيه ربما بشيء من الشك لا تذكر .. ولكنها تذكر جيدا كيف تردد وقد لمعت عيناه وتاهت نظراته ولاحت على شفتيه ابتسامة خبيثة .. كل ذلك اللحظة خاطفة ولكنه لم يغب عن ملاحظتها القوية .. وانتظرت جوابه ولكنه ، لامر ما ، لم يتكلم . وتابعت هي اعداد الشاي وقدمته اليه مفكرة في انها يجب ان لا تكدر صفو هذه الساعة باثارة شكوك قد لايكون لها اساس من الصحة .

وهكذا صممت ، رغم الشك الذي بعثه في نفسها عدم جوابه وابتسامته الخبيثة الى نظراته التائهة ، صممت على ان تنسى كل شيء عن موضوع الوردة فهي متأكدة من اخلاص حبيبها وحبه .. وبعد ، ما اكثر الشكوك التي اعتادت ان تعتمل في نفسها وتسبب لهما التنكيد والمنازعات لتعلم بعد ذلك انها بدون اساس .

واتما ارتشاف الشاي وقد تركت الموضوع جانبا ، او هكذا خيل اليها ، ولكن ، بعد نحو ساعة او اكثر ، اذا بها تجد نفسها تسأله بدون تفكير قائلة انه لم يخبرها بعد من اين اتى بهذه الوردة الجميلة . ورد هو عليها بصوت عادي يبدو في نبراته الملل انها من الحديقة .. ثم عاد يكب على دفاتره فقد كان يستعد للامتحان النهائي .

ووجدت هي جوابه طبيعيا هذه المرة ولكنها دهشت قليلا بينها وبين نفسها للسرعة التي انتجت فيها شجيرة الورد التي لم يمض اسبوعان على غرسها ، وردة كهذه ..

ولكنها سرعان ما صرفت في ذلك اليوم ، الموضوع من ذهنها كليا ولم تسمح لنفسها بالتفكير فيه بعد ذلك .. ولكن .. ها هي ذي ، بعد اسبوع ، تقف امام نفس الوردة في نفس الكوب ونفس المكان .. انها نفس الوردة ما في ذلك شك لانها قد اصبحت الان ذابلة ذاوية وقد اوشكت اوراقها على التساقط .

ولكن ، لماذا يحافظ حبيبها على وردة ذابلة قرب سريره تحت المصباح الوردي وهو المتأنق الذواقة الذي لا يسمح لنقص مهما كان تافها ان يشوه من جمال ونظافة حجرته ؟ هل من



بقلم بلقيس الحوماني

الممكن ان تكون الوردة هدية من فتاة عزيزة عليه الى حد لم يسمح له قلبه بان يلقي بهديتها بعيدا بعد ان اصابها الذبول ؟ ولكن ، من عساها تكون الفتاة التي اهدته الوردة ؟

واحست بحبيبها يقف وراءها ويلف ذراعه حول كتفيها فلم تتحرك ولم تتحول اليه فاتحة ذراعيها كما اعتادت ان تفعل ، بل تشاغلت بترتيب حاجياته على « الكومودينو » وعندما احست بشفتيه تمسحان شعرها ، اجفلت قليلا وتحركت



بدون ان تنظر اليه قائلة :

ــ لنذهب ونجلس قليلا في الشرفة .. هل عندك مانع ؟

ــ كلا ابدا .. ولكن ، ما بالك خشنة جافة هكذا ؟

(ونظرت اليه ببرود)

ــ جافة ؟ انني لست جافة فلماذا تظن ذلك ؟

(فعلت وجهه سحابة غاضت وراءها ابتسامة وتمتم حانقا :

ــ دوما انت هكذا .. لا اراك الا تغضبين بدون سبب .

ــ ولكنني قلت لك انني لست غاضبة .

قالت ذلك بصوت يقرب من البكاء وقد شعرت بالقلق فهي تعرفه يكره العبوس والنقار وخشيت ان يأخذ عنها فكرة سيئة قد تزهده فيها .

ومشيا معا الى الشرفة حيث اعد لها ، كعادته ، الكرسي الافضل فجلست عليه ومدت ساقيها على الحاجز الحديدي امامها بينما جلس هو على الكرسي الثاني بقربها ومضى يدخن سيكاره مشيحا بوجهه بدون ان يأخذ يدها بين يديه كعادته .

وبقيا كذلك فترة صامتين .. لم يكونا ، كالعادة ، يتمليان من جمال الغروب وظلمته الناعمة المريحة التي كانت قد ابتدات تلف المرئيات ، بل كانا يبدوان مستغرقين في التفكير .

كان الاستياء والغم باديين على وجهه بجلاء وهو يرمقها بطرف عينه وكانه يتساءل عما تراه اغضبها بينما كانت هي لا تزال تشعر بتلك الكلابات الكئيبة الموحشة تعتصر قلبها . من عساها ان تكون الفتاة التي اهدته الوردة ؟ وارتفعت نظراتها الى البنايات المرتفعة المحيطة بمنزل حبيبها الارضي . هل تراها واحدة من جاراته اللواتي يراقبنه دوما في الامسيات من شرفاتهن ؟ وبدا هذا معقولا لها .. ولان تلقي جارة له بوردة اليه ، لاقرب الى المعقول من ان تحملها اليه فتاة تأتي الى زيارته من مكان بعيد ..

واخذت تفكر في جاراته .. انهن ثلاث .. اثنتان منهن تسكنان امامه مباشرة وشقتيهما تعلوان عن الارض دورا واحدا بينما الثالثة تسكن الى اليمين لا يكاد يبين من شرفتها سوى جزء صغير ولكنه كاف لاية فتاة تريد ان تتبادل الحديث مع شاب في مكان حبيبها .

وتوقف بها التفكير عند هذه الفتاة بعينها .. فهي ، الى انها شقراء وحبيبها لا يخفي ابدا تفضيله للشقراوات بالرغم من انها هي نفسها سمراء ... الى ذلك ، هي تزرع ورودا مختلفة في اصص ترصها على الشرفة .. لا شك اذن ان هذه الوردة هي منها ولا شك ان لها مكانة في نفسه بحيث لم يستطع معها ان يلقي بوردتها ، بالرغم من ذبولها ، بعيدا ..

والقت الى حبيبها ، من طرف عينها ، بنظرة سريعة وكان هو ما زال مشيحا بوجهه عنها يدخن سيكارته بصمت . واحست بغصة تكاد تخنقها .. ها هو ذا يبدو عليه الملل والاستياء . انه لا يمسك بيدها كعادته ولا يحاول ان يسترضيها ويسألها عن السبب كما اعتاد ان يفعل سابقا كلما رآها مغضبة هل من الممكن ان يكون حبيبها قد ابتدأ يزهد فيها منجذبا الى جارته الشقراء؟ ولكن جارته كانت دوما هنالك ومن قبل ان تعرفه هي فما الذي منعه من ان ينشيء معها علاقة حب قبل الان ؟ آه .. نعم .. انها تذكر الان ... لقد حدثها مرة عن تلك الجارة . انها متزوجة وزوجها قد سافر منذ مدة قصيرة الى اميركا .. فما الذي يمنع الزوجة من ان تنصب شباكها حول جارها الطالب الوسيم بعد ان خلا لها الجو ؟

وازدادت نفس الفتاة كآبة ووحشة وكادت الدموع تطفر من عينيها .. ولكن .. ان حبيبها ما زال يظهر لها نفس الحب والعواطف المحتدمة .. ومنذ ساعتين فقط ، قبل ان تلحظ الوردة الذابلة ، كان يسألها عن الاسم الذي ترغب في ان يطلقاه على اول مولود لهما كي يناديها به .. وذلك عندما يتزوجان .. وضحكا معا كثيرا عندما اعترضت قائلة ان اول ولد قد يأتي انثى .. فاجاب على الفور غاضبا انه اذا حدث ذلك فسيدفنها هي وابنتها حيتين .

وانجابت بعض السحب عن صدرها وكاد يداخلها الاطمئنان ، ولكن ، لتعاودها باسرع مما ذهبت وهي تستعيد في ذهنها صورة عينيه الملتمعتين وابتسامته الخبيثة وتردده وهي تسأله عن مصدر الوردة .

واتعبها وحيرها الصراع النفسي في داخلها ولم تعرف على اي قرار تستريح .. هل تدين حبيبها ام تبرئه ؟ وتدين نفسها بالتشكك والتفاهة ؟ يا لله .. ما اكثر غموض الرجال وما اصعب الحياة معهم .

وتاهت عيناها في ارجاء الحديقة حول الشرفة والتي ما زالت آثار الحفر والفرس الحديثين ظاهرة فيها ... وتنقلت فيها بانظارها تبغي بذلك التهرب من دموع اوشكت ان تتسرب من مقلتيها وكانت لاتريد ان يراها حبيبها فتفسد من جمال لقائهما الاسبوعي في هذه الامسية الحلوة او المفروض انها كذلك ..

وفجأة ، وكأنما اشرق على نفسها نور الهي ، انزاحت غيوم الغيرة والشك عن ذهنها مرة واحدة فانفرجت اسارير وجهها وصدرت من اعماقها آهة خافتة لفتت رأس حبيبها ناحيتها .. والتفتت اليه وقد ضحكت عيناها وكانت السعادة واللهفة والحب في كل جزء من قسماته . ومدت يديها تحتوي وجهه بين راحتيها وهي تلتهمه بعينيها بابتسامة عريضة . وفغر هو فاه وحملق فيها كما لو كانت مريضا افلت من مستشفى المجاذيب :

ــ طيب ، والان .. ما الذي رد الدموع في عينيك والعقل الى رأسك يا ترى ؟

قال ذلك رافعا حاجبيه بطريقته الحبيبة الساخرة التي تحبها ... فازدادت ابتسامتها اتساعا وهي تطلق نحوه قبلات طائرة متلاحقة بدون ان تتكلم .

ذلك ان انظارها وقعت فجأة على شجيرة الورد التي غرسها البستاني منذ اقل من ثلاثة اسابيع وقد تناثرت بين اوراقها الخضراء ورود حمراء صغيرة من نفس نوع الوردة الذابلة التي تزين « الكومودينو » قرب سرير حبيبها ..

وهتفت هامسة وهي تطلق نحوه في الهواء قبلة طويلة عميقة :

ــ احبك ...

ونظر هو اليها طويلا بعينين عميقتين متأملتين كما ينظر عالم الطبيعة الى ظاهرة طبيعية لا يستطيع لها تعليلا ، ثم هز رأسه ببطء وهو يقول متفلسفا كلمته الخالدة التي اعتاد دوما ان ينهي بها مواقف مثل هذه .. فيثير بها غيظا :

ــ حواء ...

بلقيس الحوماني

لبنان

تغنى في جمالك من تغنى — وهام بروضك الزاهي وجنا
حباك الله اسنى ما لديه — جمالا فاتنا ، وعلى ، وفنا
بعدنا عنك اجيالا ولكن — كذوب من يقول بعدت عنا
لقد اعطيتنا مجدا اثيلا — ولم تاخذ سوى الهجران منا!!

بوانس ايرس ــ الارجنتين

عبد اللطيف الخشن



حكايات حارتنا

تاليف نجيب محفوظ ـ ١٩٠ صفحة ـ دار مصر للطباعة ١٩٧٥

نغالي كثيرا حين نزعم ان نجيب محفوظ قصاص هادف وان قصصه ذات مغزى اخلاقي .

ومهما حاولنا ان نقنع انفسنا بان تصوير الرذيلة اسلوب في غرضه تقبيحها والتنفير منها نعود فنحكم على ما يكتبه من خلال ذلك الاثر الذي يتركه في النفس .. حين نفعل هذا فاننا نجد القلة القليلة من قصصه تلك التي يمكن ان تترك في النفس اثرا ايجابيا ، كزقاق المدق مثلا ، ولكنها على كل حال لا تستطيع ان تفلت من عقال الشك والتشاؤم والقلق ، والقسوة على الشخصية الانسانية لدرجة لا تعرف الرحمة اليها سبيلا .

ان الشيء الذي لا يقبل الرفض في جميع ما يكتب هو حرصه على اظهار اثر البيئة ، وابراز مخلبها القوي الذي تنشبه في الكائن الانساني ... وكان الانسان الذي تقذف به الحياة الى عالم الوجود يغدو شيئا اخر بعد ان تترك البيئة بصماتها فوقه . يريد نجيب محفوظ دائما ان يرفد المدرسة الطبيعية ، وان ينفذ الى اعماق النفس البشرية ، مصورا كل شرورها واثامها تصويرا وافيا شاملا ، بعيدا عن التهذيب والتنقية . وليت شعري كيف يفعل مثله حين يريد ان يكتب ترجمته الذاتية ؟ هل سيصور ذاته كما صور ابطاله ، هل سيكون أمينا في نقل الحوادث وفيا في عرض ذاته على قرائه من غير مواربة ولا تستر ؟

ان عملا كهذا ينطوي على كثير من الصعوبة ، لانه سيجعله يكتب ترجمة هي اقرب الى الاعترافات منها الى السيرة . وحتى الان لم نجد بين من كتبوا سيرتهم الذاتية من ادبائنا من استطاع ان يقول كل شيء ، لم نجد من توفرت له الشجاعة الكافية في بسط ما له وما عليه . وما اكثر ما نشم رائحة المبالغة ونحن نقرأ «سبعون» مثلا ونحس كان الرجل يريد ان يخفي عنا شيئا .

خيل الي انني امام شيء من سيرة نجيب محفوظ الذاتية منذ أخذت بقراءة مجموعته القصصية الجديدة « حكايات حارتنا » ، كنت اركض وراء الصفحات محاولة رصد حركات هذا الطفل الذي رسمته اول لوحة فنية في القصة ، قريب القسمات من الاستاذ نجيب . وقد كان البطل ينفض انطباعاته الذهنية عن مرحلة الطفولة بصدق وصراحة رابطا بين الحياة السياسية العامة والحياة الاجتماعية الضيقة ، ولم يكن هذا النفض على شكل قصة متلاحمة الاجزاء بقدر ما كان لقطات فنية من المحيط استطاعت ان تحتل في نفسه مراكز شعورية لا يمكن ان تنسى ، اسمى كل لقطة منها حكاية تجوزا حتى بلغت ثمان وسبعين حكاية .

كان بطل القصة صادقا ، وكان جريئا ، وكان صريحا في حديثه عن تلك المغامرات الطفولية ، وعن تخلفه في الكتاب وفرحته الشديدة حين لا يعلن اسمه في قائمة الناجحين ، ظنا منه ان رسوبه سيخلصه من المدرسة ، ولكن اباه كان يصر على تعليمه

لقد حدثنا ببساطة عن احساسه المبكر نحو الجنس الاخر وتصرفاته الساذجة والتي اخذت تتحرر شيئا فشيئا من اطار السذاجة .. اما ايمانه فقد كان في طفولته جزءا من الايمان العام في الاسرة والحارة .

ولكن نجيب محفوظ الذي آمن في كل ما يكتب بأثر البيئة في الفرد لم يجد فرقا في حكاياته بين سيرة البطل وقصة البيئة التي خلعت عليه صفاتها .. لا فرق لدى المدرسة الطبيعية بين ان نرى الفرد او ان نرى المكونات التي اوجدت هذا الفرد .. وهكذا نستيقظ فجاة لنجد انفسنا امام سيل من الذكريات تتوالى عن الحي وابنائه وبناته ، وما علينا الا ان نستجمع ملامح البطل من خلال هذه الذكريات ، لقد افلت من يدنا افلاتا عجيبا ، غامت صورته في ذلك الخضم المتلاطم من ابناء وبنات حارته ، ضاعت ملامحه بين القبو والتكية والقرافة ، كما غامت ملامح داره في ذلك الزقاق المسدود الذي ابى ان يشق لنفسه سبيلا الا من جهة القرافة ..

هنا اذا في هذا الحي الفقير المتخلف الذي يخيم عليه الجهل ويعمه الفساد وتتفشى في جوانبه الجريمة نشا صاحبنا .. هنا في هذا الحي حيث البساطة والشراسة ، والطيبة الى درجة الغفلة في بعض الاحيان .. هنا حيث التناقض العجيب نشا بطل القصة بذهنه المتفتح وعقله الواعي واحساساته العميقة .

هل اتم دراسته ، وما المدارس التي تخرج فيها ، ما اسم والده ، ما هي وظيفته ، وكيف شق لنفسه طريقا في الحياة بين افراد هذه الاسرة ؟ ..

أسئلة تلح فلا نجد لها جوابا لان نجيب محفوظ اراد الانسان النوع نتاج البيئة المحددة ولم يرد فردا خاصا ، وان كان ما يقوله يعطي بعض ملامح عرفناها في « المرايا »(١) احب فتاة من بنات الحي ولكن والدها لم يقبل ان تنتظر ابنته عشر سنوات ، فتزوجت كسيرة القلب لانها كانت تبادله الحب ... تزوجت وانشات بيتا سعيدا وانجبت اطفالا .. رآها في الستين من العمر ، ارملة منذ عشر سنوات ، تعيش وحيدة مع خادمها بعد زواج ابنتيها ، عرفها وعرفته فعزم على زيارتها لانه ما زال يحبها .

انها قفزة غريبة ، لماذا يصر نجيب محفوظ على وضعنا في الضباب ، ويجتاز بنا قرابة نصف قرن من الزمان من حياة البطل لا يريدنا ان نعرف عنها شيئا !؟

وربما حرص على هذه الضبابية الشفافة حتى يظل وفيا لطريقته المخبرية التي تحب اعادة كل مادة الى عناصرها الاولية ...

لقد ازددت يقينا بعد قراءة « حكايات حارتنا » ان بطل نجيب محفوظ يحمل الكثير من صفاته ويلتقي معه في جوانب نفسية متعددة .. آمنت ان الشك والقلق سمتان بارزتان من سمات شخصيته اورثته اياهما البيئة .. يريد ان يوفق بين العقل والمنطق وبين معطيات الواقع فلا يستطيع فيرتد الى نفسه قلقا يبحث في عقله عن وسيله توصله الى الايمان ، يريد جوهر الدين ، يريد الله بعيدا عن البدع والاوهام .

ولكن بينه وبين الايمان ، كما يريده عقله ، استارا كثيفة .. وهكذا ارتفعت في حكاياته جدران التكية فما يدري فيما اذا كان الشيخ الكبير في داخلها ، كما يقال ، ام لا ، فالدراويش اغلقوا الابواب والقانون لا يسمح بفتحها ، وهو لا يتجرأ على مخالفة القانون ..

ان الذي يقرأ « حكايات حارتنا » يعرف الى اي شي يرمز الشيخ الاكبر ، والى اي شيء ترمز التكية ، ثم ماذا يقصد نجيب محفوظ بالدراويش .

في طفولته رأى الشيخ الاكبر امام التكية وسمع منه عبارات لم

يفقه لها معنى ، وهذا يعني انه كان يؤمن بالله ويعتقد اعتقادا راسخا بوجوده وجبروته ، اما فيما بعد فقد تطورت المعاني في نفسه .. ولكن ثورته لم تحل في يوم من الايام بينه وبين الايمان بالله : « لا استطيع تصور تكية بلا شيخ اكبر.» وان كان اهتمامه بذلك لم يعد كبيـرا : « لم اعد ارى التكية الا في مواسم زيارة المقابر فالقي عليها نظرةباسمة». هذا ما يقوله في الحكاية الثامنة والسبعين حين يزور والده المحامـي المتقاعد « عمر فكري » فيطلب منه ان يجيبه عن سؤال ارقه وهـو : هل الشيخ الكبير داخل التكية ام لا ؟ ويجيب عمر فكري : ان التكيـة موجودة والدراويش موجودون ولكنه لا يعرف عن الشيخ الكبير شيئا ! وهكذا عجز عمر فكري الذي يعبر عن ذهن البطل عن الاجابة ، علىالرغم من انه كان ماهرا في حل كافة انواع المشاكل . وحيال هذا فانه لـم يعد يعير الموضوع اهتماما بدليل عدم رؤيته التكية بعد ذلك الا في ايام زيارة المقابر ، وتلك الابتسامة التي كان يستقبلها بها والتي تعبر عـن عـدم الاكتراث .

في هذه الحكايات القصيرة قال نجيب محفوظ شيئا كثيرا . ومع ان المدرسة الطبيعية قد خلعت على الحكايات كلها مسحة التشاؤمفانني استطيع ان اجد في كل ما يقول ثورة على الواقع وبرما بالعادات . ان سيف هذه العادات المسلط وهيمنة روتينها على اهل الحارة كثيرا مـا اسلم نفوسا بريئة الى الجنون والبله او الموت . اما اولئك الذيـن اداروا ظهرهم لكل ما لا يتلاءم مع مصلحتهم الشخصية ومنطق عقلهـم فقد عاشوا في سعادة نسبية وحققوا بعض ما يراود احلامهم ..

وعلى الرغم من الشبه الكبير في اسلوب العرض بين هذه الحكايات وبين المرايا فان الواقعية الطبيعية لم تفرض نفسها هنا كما فرضـت نفسها هناك ، لقد خلت «المرايا » من عنصر الطيبة والاخلاق وجبلـت النفوس على الشر ، وحذفت منها عنصر الشرف .. اما في « حكايـات حارتنا» فان بعض شخصياتها استطاعت ان تحتفظ بشيء من الخلـق الحسن .

والحقيقة اننا بعد ان نعيش ساعات مع هذه المجموعة الجديدة من اقاصيص نجيب محفوظ نقول : ما اكثر البلهاء والمعتوهين والمجـانين في حارته وما اقل الاسوياء .. واية حارة هذه! ان رائحة العفونـة زكمت انوفنا واصوات المجانين اصمت آذاننـا ومنظر القرافة اشـاع في نفوسنا الانقباض والياس .

وبعد اليست تهمة نلصقها بنجيب محفوظ حين نقول : انه افلت من عقال الواقعية الطبيعية !؟ ومهما تفاءلنا له بهذا الافلات فانه لايلبث ان يرتد الى الواقع ليصفع النفس الانسانية صفعا لم يسبقه اليـه غير « بلزاك ».

---

(١) مجموعة قصصية لنجيب محفوظ ، هناك تقارب بين بعـض شخوصها وبين بعض شخوص هذه المجموعة .

دمشق — سكينة الشهابي

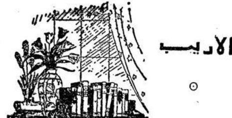
•

ديوان الامير شهاب الدين المعروف بـ « حيص بيص »

تحقيق السيد مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر ـ الجزء الاول ـ ٣٩٣ صفحة ـ والجزء الثاني ـ ٤١٦ صفحة ـ منشورات وزارةالاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٤

دابت وزارة الاعلام العراقية ، منذ فترة بعيدة ، على اصدار الثميـن

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفـع قيمـة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركـات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ٥٠ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سـائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٥٠ دولارا بالبريد الجـوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحـد ادنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الـى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلـة

•

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البيـر اديـب

النادر من كتب التراث العربي والاسلامي ، وكان آخر ما اصدرت من هذه الكتب ، ديوان الشاعر العربي الشهير ، الامير شهاب الدين، ابي الفوارس ، سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي، البغدادي، المعروف بـ (حيص بيص).

ومحققا هذا الديوان ـ بجزئيه اللذين صدرا ـ هما الاستاذان الفاضلان ، السيد مكي السيد جاسم ، المحقق والبحاثة العراقي المعروف الذي له باع طويل في مجال البحث والتحقيق ، وشاكر هادي شكر ، الذي حقق كتاب « انوار الربيع » واصدره بسبعة اجزاء ، منذ بضع سنوات ، وعلى هذا نقول ، ان حظ هذا الشاعر كبير ، لان الذي حقق ديوانه ، هذان المحققان الاربيان .

ان من يقرأ الجزء الاول من هذا الديوان ، (وكان قد صدر في شهر تشرين الاول من سنة ١٩٧٤) يجد ، ان هذين الاستاذين ، قد كتبا مقدمة ضافية استغرقت ٦٤ صفحة من الكتاب ، تحدثا فيها بايجاز عن (العصر السلجوقي)، الذي توسطته حياة صاحب الديوان، بما فيه من اخبار السلاطين والامراء والوزراء والمعارك والحروب ، كما تحدثا عن الحياة الاجتماعية والادبية في هذا العصر ، وما كان لكل هذه العوامل من اثر في تكوين شخصية هذا الشاعر الكبير !

ولم يكتفيا بذلك ، بل رسما للقارىء ، رسما موفقا عن شخصية هذا الشاعر اذ قالا : « اجمع مترجمو الشاعر ، على انه ، كان يتزيا بزي عرب البادية ، ويتكلمباللهجة البدوية الفصيحة ، ويتقلد السيف انى ذهب ، ويكثر الفخر بنسبته الى اكثم بن صيفي ، المجاشعيالدرامي التميمي ـ حكيم العرب المشهور ـ والمتصفح لديوانه ، يجد مصداق ذلك في شعره الذي يبدو ، وكانه نظم في العهد الجاهلي او العهد الاسلامي الاول ، وان ناظمه ، اعرابي متبد ، لا من حيث اشتماله على غريب اللفظ فقط وانما من حيث جريه على نمط القصائد في ذينك العصرين ، في التغني بالامجاد الحربية والتمدح بالاغارة على الاعداء ، وسلب اموالهم وذكر المناهل والموارد ، وما تختلف عليها من احوال، الى قطع الصحاري ، في شدة الحر وقر الشتاء ، وما يتبع ذلك من قلة زاد وندرة ماء !»

والشاعر كما هو معروف ، صريح النسب يتصل باكثم بن صيفي (وان حاول بعض الناس التشكيك بذلك ، دون ان يستندوا الى حجة تدفع صحة انتسابه) كما يقول المحققان الفاضلان . ويوردان ما (زعمه) الشاعر المعاصر له ، هبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان، من انه سأل ابا حيص بيص عن صحة انتسابه الى أكثم بن صيفي

فقال : والله ما عرفت اني من تميم حتى اخبرني بذلك ولدي ! وهذه رواية تدل صيغتها على زيفها !

ويرى المحققان ، ان ابن القطان هذا ، عرف بالمجون وكثرة الهجو للناس والسخرية من اكابرهم وساداتهم ، ومن مكايداته لابي الفوارس هذه الحادثة التي اختلقها اختلاقا عليه وهذه خلاصتها : انه خرج من دار الوزير علي بن طراد الزينبي ليلا ، وهو يتقلد سيفا كعادته، فنبح عليه جرو كلب ، فوكزه بعقب السيف فمات ، فبلغ ذلك ابنالقطان المذكور ، فنظم ابياتا ضمنها بيتين لبعض العرب ، قتل اخوه ابنا له، فقدم اليه ليقتاد منه ، فالقى السيف من يده وانشدهما . ثم ان ابن القطان المذكور عمل الابيات في ورقة وعلقها فيعنق كلبة لها اجر ، ورتب معها من يطردها الى باب دار الوزير كالمستغيثة ، فاخذت الورقة من عنقها ، وعرضت على الوزير فاذا فيها :

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى	بفعلة اكسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي ابدى تشاجعه	على جري ضعيف البطش والجلد
وليس في يده مال يديه به	ولم يكن ببواء عنه في القود
فانشدت جعدة من بعدما احتسبت	دم الابيلق عند الواحد الصمد
« اقول للنفس تأساء وتعزية	احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه	هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي»

وان هذا الشاعر الماكر العابث هو الذي لقيه بـ « حيص بيص» واشاع اللقب بين الناس !

هذا بعض ما قالاه في ترجمة صاحب الديوان ، اما ما قالاه من الديوان الذي قاما بتحقيقه فهو « ان المترجم له قد صنع ديوانه بنفسه وقدم له مقدمة .. وان الحافظ السمعاني ، قرأ الديوان على صاحبه ـ حيص بيص ـ » وان « نسخة من مخطوطة هذا الديوان، موجودة في مكتبة ، رضا رامبور تحت رقم ٤٣١٤ ، والظاهر ان هذه المخطوطة لا اخوات لها ، فيما يعهد من مواطن المخطوطات !» وقد صورت نسخة منها للمجمع العلمي العراقي ، وهي التي اعتمدها المحققان في عملهما ، فكيف قاما بذلك حتى اخرجا لنا هذا الديوان محققا ؟

لنقرأ ما قالاه في هذا الصدد : « لما كانت هذه النسخة هي الوحيدة للديوان ـ في ما علم ـ فقد امعنا النظر في قراءتها جيدا ، فاثبتنا ما يحتمله الرسم من كلماتها ، وما يصح معناه في المعاجم ورددنا ما هو مصحف منها الى الصورة التي اعتقدنا صحتها ، واثبتنا الاصل في الهامش ، وما وجدنا له وجها ولو بعيدا تركناه على حاله واثبتنا في الهامش ما ترجح انه الاولى والاصوب ، وعمدنا الى الساقط والمطموس من كلماتها وجملها ـ وهو ليس بالقليل ـ فسددنا فراغه بألفاظ من عندنا ، مراعين في ذلك الفاظ الشاعر واسلوبه في تأليف الكلام ، وقد وضعناها بين حواصر ، ليعرف القارىء مكانها فيأخذ بها ـ ان شاء ـ او يدعها ».

ولعل الامر الذي وفقا فيه تمام التوفيق ، هو قيامهما بتشكيل الابيات وضبط الفاظها وشرح معانيها ، شرحا وافيا ، تحقيقا لرغبة بعض اخوانهم ، اذ قالا بهذا الصدد « وقد اقترح علينا ان نضبط الفاظ هذا الديوان وان نشرح ما يحتاج الى شرح وايضاح ، وهو شيء كثير، لان الشاعر لغوي ، يتقيل شعر الجاهليين والشعراء الامويين، فقمنا بذلك على الوجه الذي يراه القارىء ، كما عرفنا بالممدوحين،وبكل علم ورد ذكره الا قليلا ممن لم نصب له ذكرا او ترجمة .. كما عملنا على تكملة الديوان مما جمعناه من الشعر المنسوب لشاعرنا وقد خلا الديوان منه !» وليس من شك في ان هذا العمل الكبير قد زاد مناهمية الديوان ، اذ لم يعد ديوان شعر فحسب ، بل يعتبر بحق معجما فريدا في بابه غزيرا في مادته ومحتواه .

ولدى قيامنا بعملية احصائية بسيطة ، ظهر ان الجزء الاول يضم ١٢٢ قصيدة ومقطعة شعرية عدد ابياتها حوالي ٢٦٥٠ بيتا ، بينما

بلغ عدد قصائد الجزء الثاني ٣٠٦ قصائد ومقطعة شعرية عدد ابياتهـا حوالي ٣٢٠٠ بيتا ، وجميع هذه الابيات مشكلة .

وان من يقرأ شعر هذا الديوان ، يقر المحققين الفاضلين في مـا ذهبا اليه من ان القارىء لهذا الشعر يظن ، انه يقرأ لشاعر جاهلي او اموي ، ذاك لان هذا الشاعر الكبير نفى عن شعره كل المحسنـات اللفظية والزخارف البديعية التي حفلت بها اشعار عصره ، الا ما جاء عفو الخاطر مصادفة .

وبعد : فان هذا الديوان ، بشعره ، وشروحه ، وبحلته القشيبة، يوجب علينا ان نبادر بازجاء التهنئة للاستاذين الكريمين على هذاالعمل الجليل ، وان نعرب لوزارة الاعلام عن شكرنا وتقديرنا على اهتمامهـا بالتراث العربي والاسلامي ، آملين ان نرى في القريب العاجل ، الجزء الثالث والاخير من هذا الديوان ليجتمع شعر هذا الشاعر الكبير من الفه الى يائه ، ولها من القراء ، كل تقدير واحترام .

بغداد — عبد الرزاق الهلالي

•

البحث عن النسيان

قصة ـ تاليف سعد حامد ـ ١٥٠ صفحة من الحجم المتوسط ، صدرت ضمن سلسلة روايات الهلال بالقاهرة

القصة باحداثها وشخوصها طبيعية وموجودة في البيئة التي يعيش فيها الكاتب ، اي في ذلك الخضم الزاخر بالبشر ، وبمختلف الافكار الاجتماعية والسلوكية .. والمعيشية ايضا . فكثير من الناس ، في القاهرة ، يحيا على هواه ويعيش وفق مبتغاه ، وعلى قدر امكاناته وربما امكانات غيره، كما تشير القصة في بعض فصولها .

اذن فنحن امام قصة من الواقع ، واقع الحياة المصرية الـتي يعانيها الشباب من المثقفين وذوي الطموح الذين تحول مستوياتهـم الاجتماعية او المادية دون بلوغهم الهدف الذي يريدون عن طريـق ميسور شريف ، وليس للانانية والمصلحة الذاتية اليد الطولى في رسم خطوطه ومحتواه .

وعلى هذا الاساس فالرواية هادفة ، وهذا ما يجعلها تمتاز علـى غيرها من الروايات التي يكون القصد منها مجرد امتاع القارىء وتسليته. فالبحث عن النسيان ، بالاضافة الى الامتاع والتسلية تشخص بعـض علل هذا المجتمع وتشير الى الضياع الذي يعيشه الشباب في هذه الايام وتنبه اولي الامر ـ دون احراج ـ الى عدد من المفارقات التي يحياها الطلاب في المراحل الثانوية ، ومحاولاتهم تقمص شخصيات وافـكار وتصرفات بعيدة كل البعد عن مجتمعنا العربي . ويحذر الكاتب كذلـك من هذا الضيق الذي يحياه المراهقون من ابنائنا في هذه الايام والـذي مصدره الفراغ وضعف العمل الجاد ، ويشير الى ان الفتى ـ في هـذه الحال ـ يتعلق بالتوافه من الاسباب والامور ويجعل لها وزنا وقيمـة لا تستحق ايا منهما .

كل هذا يبرزه لنا الكاتب خلال صفحات قليلة جدا في حديثبطل الرواية عن ولده الفتى في الفصل الحادي والعشرين من القصة ، دون ان يثير شيئا من الملل او الضيق في نفس القارىء .

واذا ما عدنا الى القصة نلخصها في سطور نجد ان بطلهـا فتـى اصيب بيتم الاب وهو لا يزال طفلا ويتم الام وهو لا يزال فتى غريـرا يحتاج لمن يحنو عليه ويأخذ بيده. وبعد وفاة الام الحازمة تفككـت الاسرة وعاش كل من افرادها على هواه .

ثم ان الفتى اخذ يبحث عن الحنان والعطف فوجدهما لـدى راقصة ، فالقى بمشكلته جانبا ، ولكن الى حين . ثم التقى بفتاة كانت تراجع الطبيب النفساني الذي كان يتردد عليه لينقذه من القلق الذي كان يعيشه . ويساعده الطبيب بعض الشيء على الشفاء ، فهو طبيب اديب وصاحبنا اخذ يهوى الادب ويحاول الكتابة بعد ان فشل في اتمام دراسته العليا وانخرط في وظيفة كتابية وعاش « بين مجموعة متنافرة من الزملاء من مختلف الاعمار والبيئات ثقافتهم ضحلة لا يقراون كتابا ولا يتناقشون في موضوع هام .. ولا شيء يشغلهم الا الحديث عـن الدرجات والعلاوات وعن الاقدمية ويتنافسون على الرئاسة ..» ثـم هو يتزوج من فتاته التي التقى بها عند الطبيب ، ويترك صاحبته الاولى، ويجد في زوجته ما كان قد افتقد ، من حب وعطف وحنان ، لكن ذلـك لم يستمر .. فما كادا يرزقان بغلام حتى تغير الحال « وكل ما اصبحت تهتم به هو ان تهييء لي طعامي وثيابي التي تصورت انها كل شيء في الحياة ..»

ويعاوده الحنين الى « امل » وهي فتاة رآها تمر امام المنـزل الذي كان يقيم فيه مع اهله . و «امل» هذه، وانظروا الى الاسم ، هي في الواقع المرأة المثالية التي تخيلها الكاتب لبطل قصته فهي الامل الذي يعاوده الحنين اليه كلما ضاقت به السبل . انها الزوجة التي يريدها الرجل ليجد فيها كل ما ينقصه او يحتاج اليه ويصفها الكاتب بانهـا « شيء نادر الوجود تنشده كل نفس ، وتشتهيه كل روح ، ويحلم به كل قلب ».

وينجح بطل القصة كاديب وتصدر له بعض الروايات والمجموعات القصصية على الرغم من حياته العائلية الجافة لدرجة ان نجاحه الادبي اضفى على حياته الاسرية شيئا من الاستقرار وليس العكس كما هـو طبيعي.

وكاديب ذي احساس مرهف تظل نفس البطل توافة للحبوالجمال يدفعه الى ذلك الملل العاطفي الذي يحياه في المنزل. وهو لا يبحث عن الحب ولا يذهب اليه ، ولكنه ما ان يحسه يقترب منه حتى يستقبله بالترحاب .

ويلتقي بفتاة تعمل ممرضة في احد مستشفيات الريف فتاسره بجمالها وحيويتها فيقضي معها فترة من الزمن فهي « انثى بمعنىالكلمة، وتستطيع ان تمنحني السعادة التي افتقدها » لكنه في النهاية يبتعد عنها عندما تطلب منه ان يتزوجها ، ويفضل البقاء مع زوجتهواطفاله.

لكن هل فكرت الزوجة او ـ على الاقل ـ لاحظت ما ينتابزوجها من شعور بالمرارة والالم !؟ هل حاولت مسايرة زوجها في حياته فتوفر له ما هو بحاجة اليه « كنت اعود احيانا متعبا بعد يوم مرهق قضيته في العمل او في الكتابة، واذا اكاد اسقط من الاعياء ، واكون في اشد الحاجة الى كلمة حب او لمسة حنان .. قلبي يجيش في صدري.. يطلب الراحة والدفء والوصال .. ولكنني لم اكن اجد في بيتي، في اكثر الاحيان ، سوى الكآبة والوحدة والهم .. وهي اشياء كنت افضل عليها الف مرة ان اضرب في الطرقات على غير هدى ... ضائعا في القاهرة .. محاولا نسيان حياتي ..»

ان البطل لا يبحث عن النسيان في الواقع ، انه يفتش عن الاستقرار .. عن الراحة والدفء والوصال ، فهذه هي التي تنسيه واقعه المرير .. انه ينشد الهدوء النفسي والحب الاسري الذي يمكن ان تمنحها الزوجة « الامل » للزوج المضنى المتعب . فيسترخي في جو المنزل كما يسترخي العامل المكدود في ظل شجرة وارفة في يوم قائظ.

وتمضي الايام رتيبة مملة ، وذات يوم يلتقي بغرام جديد بفتاة من ذلك النوع من الناس يريد ان يحصل على الشيء الذي يريد لان باستطاعته الحصول عليه ، بغض النظر عما اذا كان في حاجة اليه ام لا !؟ يناسبه أم لا !؟ يضر غيره اذا حصل عليه ام لا!؟ فقط يريده بأي وسيلة !

وعاش في هذا الغرام الجديد فترة من الزمن نسي فيها واقعه الذي يحياه حتى انه خطب الفتاة لتكون زوجة ثانية له، لكن الامر لم يستمر طويلا اذ انه فسخها بعد مشادة كلامية وقعت بينهما. فقد كان كل منهما من بيئة تختلف عن الاخرى .

وحاول ان ينسى غرامه الاخير الذي كان يلح عليه ويعيد كلمات صاحبته التي كانت تهمس بها في اذنيه « ساجعل من حياتك جنة .. ساكون لك في كل يوم امرأة جديدة .. بثوب جديد .. وعطر جديد.. وطباع جديدة .. وحديث جديد .. حتى لا تملني ابدا ..»

كان يفتقد هذه الاشياء ، وكانت في الواقع هي الاسباب التي جعلته يخطب تلك الفتاة في محاولة للحصول على ما ينقصه ، كان يريد زوجة تسايره دون تكلف ، تتجدد له دون ارهاق ، تمتص الشوق الذي يتاجج في صدره وتمنحه الحب الذي يشعر بالظمأ اليه .

وبرز خيال « امل » كالعادة كلما تشتد به الحاجة الى الزوجة المثالية ، وعندما ياخذ في البحث عن الراحة والدفء والوصال « عندما احببت غيرك كنت ابحث عنك انت ...»

ثم تمضي الحياة رتيبة ببطل القصة : « من العمل الى البيت.. الى لقاء الاصدقاء ... » أقرأ الكتب وافكر في كل شيء .. واحلم بأن اصبح يوما كاتبا عظيما استطيع ان اعبر عما يضطرم في اعماقي من عواطف وانفعالات ، وان أصور حياة كل من عرفت من الناس ، واسجل كل ما رأيت من احداث ، وما عانيت من تجارب في الحياة .. ولكن هل تتحقق كل هذه الاحلام ؟ »

انه امل كل كاتب وهدف كل اديب ، ولا شك ان الاستاذ سعد حامد قد كتب فأجاد ، فالبحث عن النسيان هي في الواقع تذكير لنا حتى لا ننسى ما نحن فيه من ضياع ، ونحاول اصلاح الامر قبل فوات الاوان . انها تصور واقعنا المهزوز واملنا البسام واحلامنا الخيرة وعسى الله ان يحقق الامل والاحلام .

الظهران ـ السعودية **ابراهيم احمد الشنطي**

•

نفحات عطر

تاليف اسمى طوبي ـ ١٤٠ صفحة من القطع العادي ـ منشورات نوفل بيروت .

هذا كتاب جديد يضاف الى مؤلفات الكاتبة الفلسطينية العربية الكبيرة التي كرست حياتها ومالها في خدمة رسالتها الادبية الخالدة . وكانت في نشاطها وتضحياتها المرموقة محط انظار واهتمام من عرفها من العلماء والادباء منذ مدة طويلة .

ومن الجدير بالثناء ان الكاتبة الصادقة لرسالتيها الفلسطينية والادبية ، تعيش على المستوى الحضاري العربي والتاريخي الفلسطيني بجاذبية خاصة يستطيع القارىء من خلال السطور ان يتلمس آثار هاتين الرسالتين في اكثر مؤلفات الاديبة العاملة اسمى طوبي .

ولعل ابرز الشواهد الكثيرة على ما نقول تلك المجموعة الشيقة الجديدة التي تمثل باقة زهر في نفحات عطر تلك اللوحات الادبية الفنية بمدلولاتها الثقافية ومشاعرها الانسانية التي تؤنس عين القارىء وتجعله يستمتع باحاسيسه الوجدانية النفحات العطرة التي اطلقتها يد الاديبة في احلى صور الابداع والجمال .

ومن الطبيعي كما عودتنا وطنية الاديبة الكبيرة ، انها لا تنسى فلسطينها العربية في فاتحة وخاتمة كل مؤلف من مؤلفاتها . مما يجعلنا نحس معها تعشقها لحرية بلادها ، واستقلال شعبها العربي الفلسطيني مما يزيد في حميتنا وتقديرنا لهذه الخصال الكريمة من الوفاء الذي نجده اجمل ما في هذا الكتاب عندما تقول :

بلادي : وتبقين في كل حين . صلاة على شفتي . صلاة المحب الامين.

طرابلس ـ لبنان **محمد اديب غالب**

•

همسة في اذن حواء

تاليف ابراهيم عاصي ـ ١٧٦ صفحة قطع متوسط ـ الناشر : دار القلم بيروت .

ابراهيم عاصي قاص وناقد اجتماعي ماهر ، تتبدى نقداته الاجتماعية في قصصه التي اخرج بعضها في مجموعتين قصصيتين : « ولهان والمتفرسون » و «سلة الرمان » كما تتبدى في مقالاته التي جمعها في كتاب « همسة في اذن حواء » .. فهو ذو حاسة نقدية ذكية ، له عينان وسيعتان تجوسان خلال اجهزة الدولة ودواوينها ومؤسساتها، ترصدان الظواهر الاجتماعية ومفاسدها التي تنخر في جسم مجتمعاتنا كالسوس ، وتقعد به عن مواكبة ركب الحضارة والتقدم ، وتنفذان الى لب تلك المشكلات ، وقلمه في يده القصيرة ، التي تتعب من ملاحقة عينه البصيرة ، فلا تستطيع ان تطالها .

نطالع في «همسة في اذن حواء» لمسات انتقادية خفيفة آنا ، لاذعة آنا اخر ، وهي في كلتا الحالتين ، تنسرب في اطر فكاهية تحمل الكثير من (خفة دم) كاتبها . ولن اضرب مثالا على هذا او ذاك ، فالكتاب مترع بها ، بل هو قائم عليها . واذا كان الاسلوب هو الرجل ، فاعرف اي رجل يكون ابراهيم .

وفي الكتاب تركيز على (حواء) او بنات جنسها - على الاصح - فهو يأسى لهذه المظاهر التافهة التي تبدو فيها المراة عندنا ، مقلدة ، سخيفة في تقليدها ، تجري وراء سراب ، لا هدف لها في هذه الحياة ، ترى نفسها مجرد متاع ، وكذلك يراها ادعياء العصرية ، فيروجون لاسباب تحللها ، حتى اخرجوها من دوائر انسانيتها ، لتضيع في لجج الشهوات.. لتكون لذاذة من اللذاذات الحيوانية التافهة ، تعرض كل ما تستطيع عرضه . حتى لم تبق ما يطمح الى رؤيته ، ويطمع في الاستمتاع به ، اللاهثون خلف الشهوات الهابطة .. انها تزعم، ويزعم لها كل ديوث ، انها انما تبغي التحرر من كل الوان العبودية ... واي تحرر هذا الذي يجعل منها سيكاره ، ما يلبث مدخنها ان يدوسها بحذائه .. ثم .. مجرد حذاء يحتذيه الفجرة القادرون ، فاذا وجدوا (موديلا) احدث منه ، القوه على المزابل ، وتلقفوا الاحدث ....

ولاهمية هذا الكتاب ، نفذت طبعته الاولى خلال ستة اشهر ، فطبع طبعة ثانية مزيدة ومنقحة فعلا ، لا كما يزعم بعض المؤلفين ان الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) وليس فيها من الزيادة او التنقيح شيء.. فقد اضاف الى هذه الطبعة الجديدة مقدمة طريفة ، و«اعاش البنطلون » عن عارضة ازياء ، و« هل تعرف تلك » عن فلاح تخنفس او استنوق - حسب تعبير الاجداد - و « اللذان سيدخلان الجنة» عن الشعب والمصلحة العامة ، هذان المظلومان المجني عليهما ممن قفزوا قفزات مديدة ، ثم (نطوا) على كراسي المسؤولية من (اجلهما) ولاجل قتلهما ، والا .. فاين خدمة الشعب في اتون الغلاء الشنيع اليوم ؟ واين يقف تكافؤ الفرص من المصلحة العامة ؟ بل من منكم يستطيع ان يدلني على مظهر واحد من مظاهر خدمة الشعب او المصلحة العامة في دنيانا الضاجة بالمآسي والالام ؟.

بحث ابراهيم كل هذا ، واشياء اخرى سواه ، ليست دونه قيمة ، في اسلوبه الرشيق ، الخفيف الظل خفة دست عليه بعض الهنات التي لا تخفى على مثل ابراهيم ، وقد يكون تعمدها ...

واخيرا : أليس من حق قارىء مثلي ان يشكر دار القلم وصاحبها مرتين ؟

مرة على الجهود المبرورة التي جعلته يقدم للقراء العرب اشهى نتاج يقع من نفوس جمهرة القراء موقعا يرضون عنه .. ومرة ثانية ، لانه لم يدخل نطاق الناشرين التجار ، الذين يستغلون نمطا معينا من القراء ، فيبتزون نقوده القليلة ، بجهودهم ومنشوراتهم الضحلة .

حلب — عبد الله الطنطاوي

•

حلم واكذوبة لورنس

كتاب باللغة الفرنسية - تأليف سليمان موسى - ترجمة هيلين هاوسمان
عن دار سندباد في باريس

كان المصير الغريب الذي آل اليه لورانس موضوع مؤلفات عديدة ، نستطيع ان نذكر منها كتاب ريتشارد الدنجتون الذي عرضناه سابقا ، وكتاب انتوني ناتنج . واول هذين الانكليزيين هاجم بعنف تلفيقات هذا البطل القومي، اما الثاني ، وهو اكثر اعتدالا ، فقد لاحظ تلك التلفيقات ولكنه اوضحها . وها هو كتاب آخر يترجم الان الى الفرنسية وهو من تاليف الكاتب الاردني سليمان موسى . وقد ظهر الكتاب باللغة العربية اولا عام ١٩٦٢ ثم ظهرت الترجمة الانكليزية عام ١٩٦٦. وهذا الكتاب يطرح وجهة نظر مختلفة وهي على الخصوص وجهة نظر عربية . لقد تألم المؤلف عندما لاحظ ان الثورة العربية لعام ١٩١٦ ، تعرض في احيان كثيرة على اساس ان لورنس نظمها وادارها .

والمؤلف يعالج سيرة حياة لورنس ، ويفند كل الاكاذيب التي حيكت حول شخصيته وحول طاقاته الميكيافيللية . كما انه يبرز استقلال الزعماء العرب في اتخاذ قراراتهم ، وشجاعة المحاربين العرب ، ومساهمة العرب المهمة في النصر الذي احرزه الانكليز على الاتراك . ويبني الكاتب وجهة نظره على دراسة انتقادية لوثائق وكتب ، لاحداها اهمية خاصة، وهي التقارير التي نشرها لورنس في (النشرة العربية) التي كانت تصدرها السلطات البريطانية في مصر . بالاضافة الى اقوال شهود احياء اشتركوا في الاحداث .

وترى استنتاجاته احيانا منسجمة مع ما يعتقده ولكن ليس دائما. ومع ذلك ، فانه يظهر قدرا معينا من التسامح مع بطل كتابه ، وتراه يقسر نفسه على اعطاء احكام متوازنة بشان لورنس . ولكن مواهبه في التحليل النفسي تضعف امام عواطفه ، مما يجعل من العسير بالنسبة له ان يفهم عقلية قومية اخرى : هي العقلية الاستعمارية . بل اكثر من ذلك : ان يقدر حق التقدير رد الفعل بالنسبة لشخص انكليزي في العشرينات من هذا القرن ، ازاء الصهيونية .

ان المقدمة التي كتبها المستشرق فنسنت مونتاي مثيرة للاهتمام. وقد اضيف للكتاب تفنيد كتبه شقيق لورنس يرد على اتهامات المؤلف، ورد صغير من المؤلف . الترجمة على العموم جيدة ولكنها لا تخلو من ضعف هنا وهناك . الكتاب يصلح للمثقفين عموما وللمهتمين بالقضايا العربية .

مترجم عن مجلة **Bulletin Critique du Livre Français**